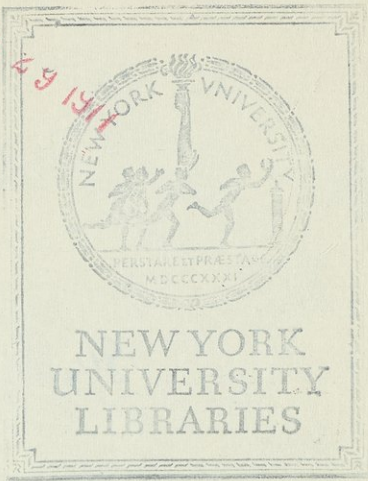




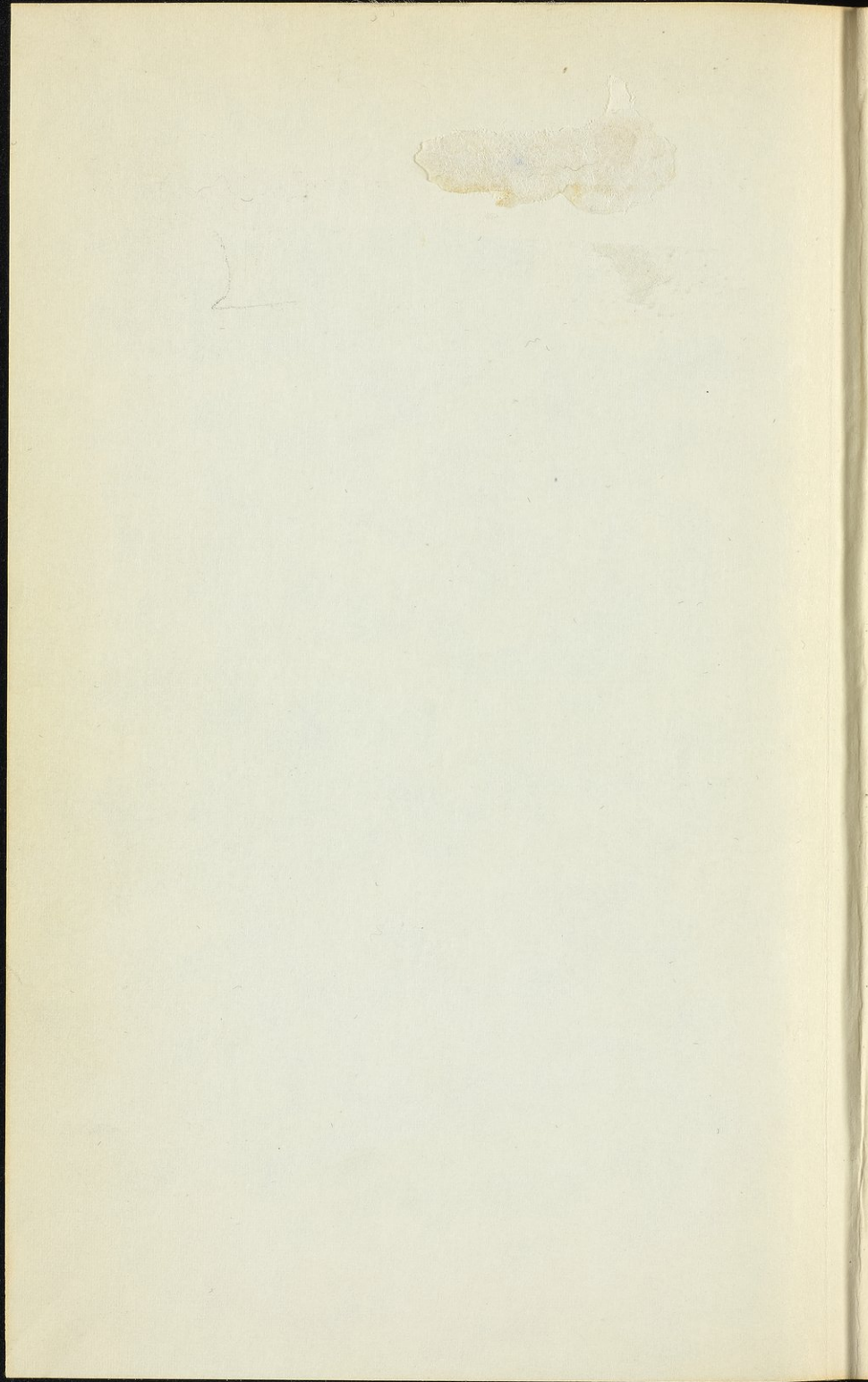
3 1142 00226 1298

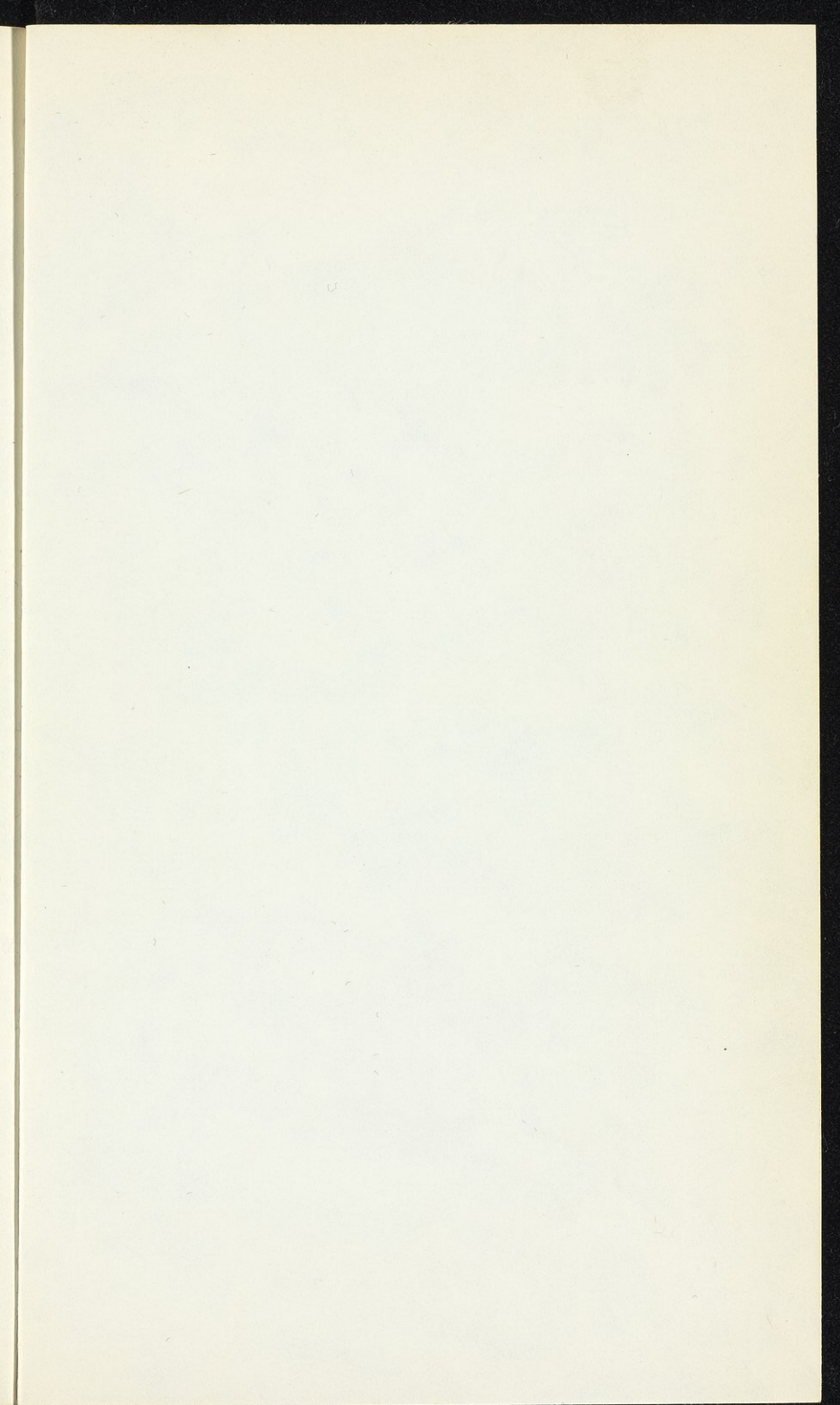
CANCEL

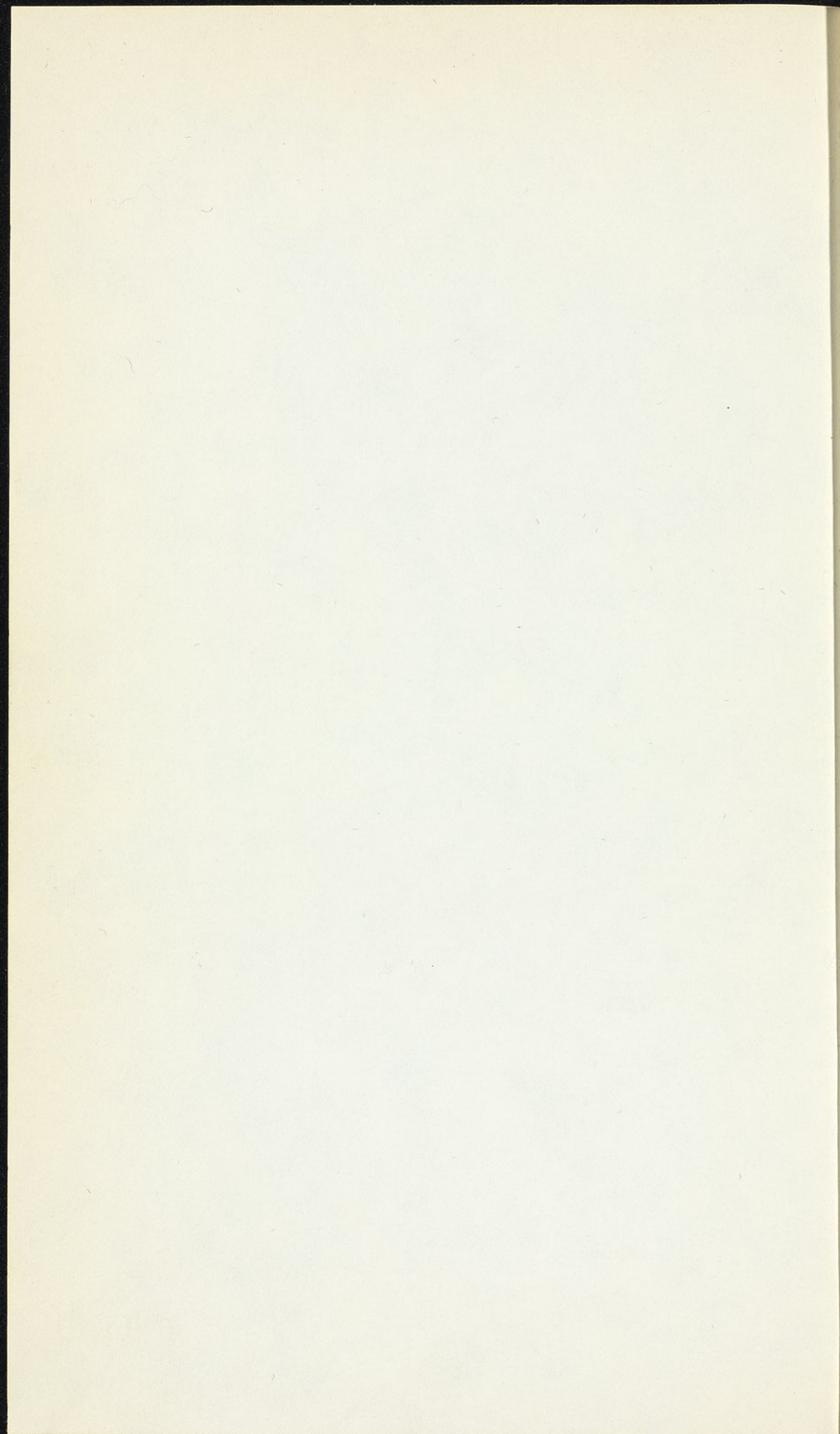
JUL 29 1954



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY







Faint, illegible text at the top of the page, possibly bleed-through from the reverse side.

Yūnus, 'Abd al-Hamīd.
al-Azhar ----

الأزهار

245

للأستاذين

عثمان توفيق

عبد الحكيم يونس

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

الناشر: دار الفكر العربي

Near East

LG

511

C45

.Y8

C.1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نسـ تمیز

كلمة الناشر

عندما أخرجت للناس الكتاب الأول «الطاقة الروحية» لم أحاول تصديره بكلمة تبين الفكرة التي أنشأت من أجلها «دار الفكر العربي» فقد كنت مزمعا أن لأصدر أى كتاب من كتب الدار، ولكن اللقاء الحسن والتقدير الجميل اللذين قوبل بهما كتابي الأول جعلني أبادر بالاتصال والتعرف بقراء «دار الفكر العربي».

«دار الفكر العربي» لم تقم على نشر الكتب حينما اتفق... بل عن اختيار وانتخاب، مسيرة منها... للنهضة الفكرية الحديثة. إذ يقوم بهذا الاختيار وذلك الانتخاب لجنة من خيرة الأساتذة والكتاب بمراجعة ما يعرض على الدار من الكتب الموضوعية والمترجمة والمخطوطة. وإن البصير بالنهضة العلمية ليلحظ أن ثمة سببا له خطره هو الذي يحول بين اقتراب الشرق من الغرب، وذلك هو تأخر المكتبة العربية الحديثة عن أختها الغربية، فالثقافة هي العمود الفقري الذي تقوم عليه حضارة الشعوب. وإذن فلم يكن ثمة بد من تلوين إنتاج الدار تلويना حيويا لملء الفراغ الموجود بالمكتبة العربية.

والدار تحاول بعملها هذا نشر الثقافة العربية وما يترجم من الثقافة الغربية لتكون الثقافتان في متناول القارئ العربي. وليكون عمل الدار عملا وطنيا قبل كل شيء.

وإن نظرة في الكتاب الأول وما حواه من موضوعات طلع بها

على الناس والأسئلة حيرى فى الصدور تريد الجواب عما جد فى الكون بعد أن غشت المادة الأبصار وصمت الأسماع ولا غرو فان المؤلف هو «هنرى برجسون» فيلسوف فرنسا المعاصر ، والمترجم هو الأستاذ سامى الدروبي الذى أتاح لنفسه فرصة السبق فى ترجمة مؤلفات ذلك الفيلسوف ، أما الكتاب الثانى «الأزهر» الذى تقدمه اليوم ، فهو كتاب فى موضوع الأزهر نفسه وإن كان حوله لافيه مباشرة. ذلك لأن الأزهر قد قام بواجبه فى إشاعة الثقافة ألف سنة أو تزيد وهو من إنتاج أستاذين نابيين لهما مكاتهما فى عالم التاريخ .. تفسيراً وتفصيلاً ...

وسيعقب الكتابين كتب .. و .. كتب تدفع بنفسها إلى مكانها الشاعر فى المكتبة العربية ..

وحسبى فوق ذلك كله أنى أعمل جاهداً على إصدار الكتب بما يتناسب معها من جودة للطباعة والورق والرسوم الملونة تمشياً مع النهضة الفنية ومحاولة بث الذوق والجمال الفنى فى الطباعة .

وليس من سبيل لإتمام ذلك البرنامج إلا بدعوة الكتاب والمترجمين فى جميع البلاد العربية إلى المساهمة فى هذا العمل الأدبى الرفيع بإعطاء الفرصة « لدار الفكر العربى » بمراجعة تواليفهم والعمل على نشرها . والدار ، وهذا برنامجها ، لا تألو جهداً فى الأخذ بنصيحة كل ناصح والعمل بمشورة كل مخلص ...

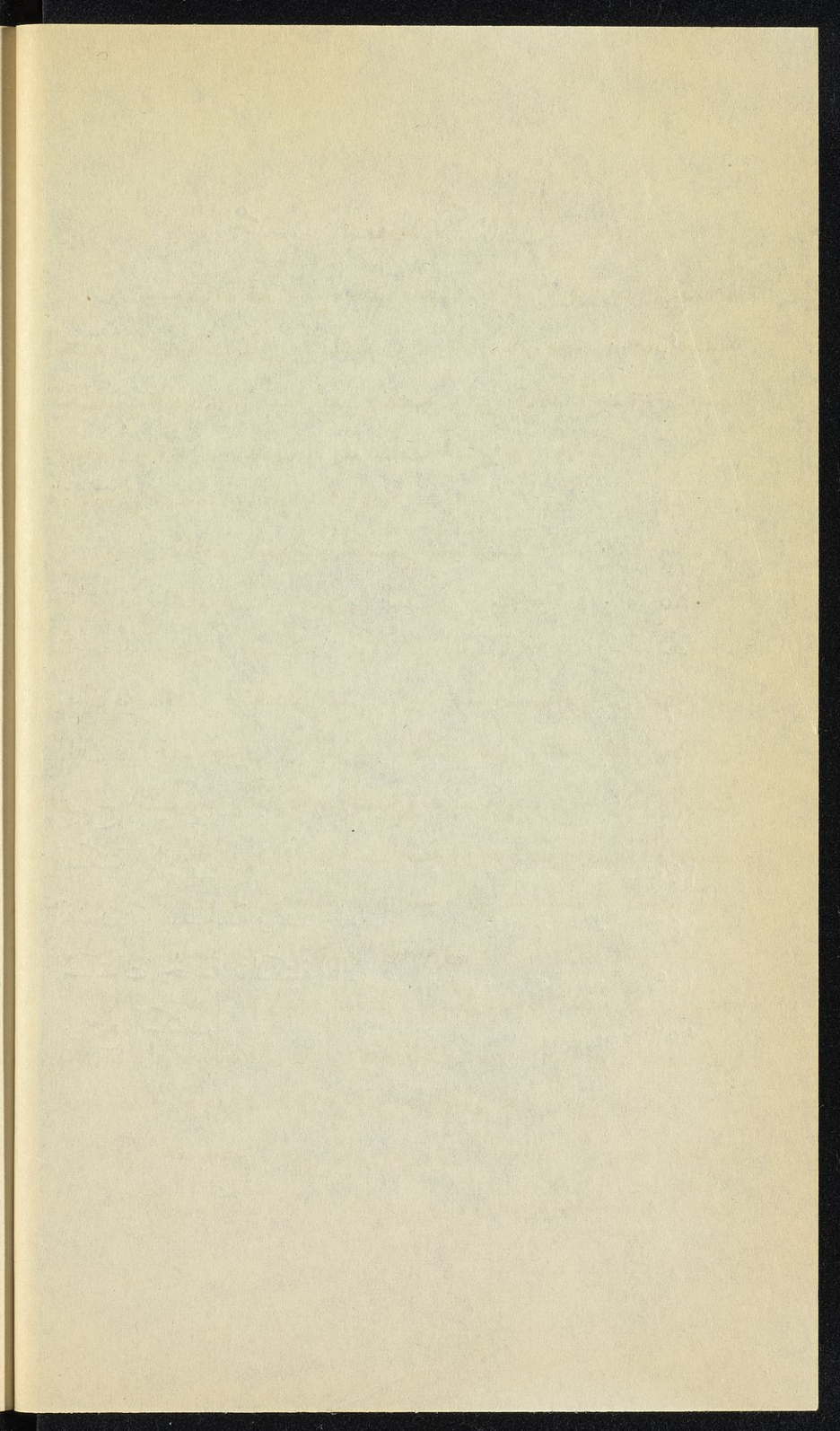
نسأل الله تعالى أن يوفقنا فى ظل راعى الكتاب العربى مولانا جلالة الملك « فاروق الأول » حفظه الله ٢

محمد محمود الحفصرى

٣٠ - ٧ - ١٩٤٦

محتويات الكتاب

صفحة	
٩	مقدمة
١٧	نشأة الأزهر
٣٣	عمارة الأزهر
٦٠	تقاليد الأزهر
٧٠	جامعة الأزهر
٨٥	نهضة الأزهر
٩٥	محمد عبده والأزهر
١٠٨	الملك فؤاد والأزهر
١١٨	الملك فاروق والأزهر
١٢٤	شيوخ الأزهر
١٤٠	المكتبة الأزهرية
١٤٦	الفنون التي بالمكتبة وعدد مجلداتها
١٤٩	المكتبات الخاصة بالمكتبة والأزهر
١٥٢	مراجع الكتاب



مقدمة

تتوسع حكومة مصر بل وحكومات الشرق العربي في إرسال البعثات العلمية إلى الجامعات الأوربية المشهورة ، رغبة منها في مسابقة الحياة العقلية العالمية التي تحلقت عنها أمداء ليس بالقصير ، فهل فكر أحد في أن هذه الجامعات الأوربية المشهورة إنما نشأت حكاية عن الجامعات الإسلامية القديمة التي سبقتها في الظهور ؟ . .

يعترف الباحثون الغربيون أنفسهم بهذه الأسبقية التاريخية ويؤيدونها بما كان بين الجامعات في العالمين : الشرق الإسلامي ، والغربي المسيحي من تشابه خطير ، فقد كانت المواد التي يدرسها طلاب العلم المسلمون في القرنين العاشر والحادي عشر ، هي بعينها المواد التي كان يحتفل بها الدارسون المسيحيون في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، كما أن الدراسة المنظمة ، والعلاقة بين الشيخ وتلميذه ورسوم الدراسة والهبات المالية وإقرار النظام ومنح الدرجات العلمية ووجود طوائف من الأجانب تنتظم في جماعات طوال حياتها الدراسية ، كل هذه المظاهر كانت تتسم بها الحياة الجامعية سواء أكانت الجامعة في بغداد أو في أكسفورد .

وأهم من هذا كله ، هذه الإجازة التي كان يمنحها الشيخ المسلم تلميذه للتدريس أو لقراءة متن معين ، فقد كانت تشبه « ليسانس المعلم » التي جرت عادة الجامعات الأوربية على منحها في القرون الوسطى .

ونحن نجد بعض الذين يتخرجون في الجامعات الأوربية يذيلون أسماءهم بألقابهم العلمية ومنها « بكالوريوس » في العلوم أو الطب أو الآداب

وقد جهدت بعض المجامع العلمية واللغوية في نحت كلمة عربية تدل على معناه ، فهل وقع في خلد أحد من أولئك وهو لاء أن هذا اللقب قد يكون من أصل عربي ؟ . . .

لقد حار أصحاب معجم أكسفورد الانجليزي على بصرهم ، بمقارنة اللغات في أمر هذا اللقب « بكالوريوس » ولم يستطيعوا أن يردوه إلى أصله في لغة من اللغات ، ولعل أقدم من استعمل هذا اللقب ، الشاعر رولان أحد فرسان شلمان في أغنيته المشهورة باسمه وهو الذي هلك على جبال البرانس في عودته من قتال المسلمين في الأندلس ..

ومن يدري فربما كان لقب « البكالوريوس » تحريفا لعبارة « بحق الرواية » التي كانت تلحق الإجازة ومعناها « حق التعليم بتحويل من الغير » وهي بهذا تشبه لقب « البكالوريوس » وترادفة .

والأزهر — على ما نعلم — هو أقدم هذه الجامعات الاسلامية ، وإن كان بعض الباحثين الغربيين يعمطون فضله ويقدمون عليه غيره من المدارس والجامعات التي نشأت في طول البلاد الاسلامية وعرضها .

ومن هؤلاء ، المستشرق الفرد جيوم Aefred Juillaume فقد ورد في كتاب تراث الاسلام قوله : « ولعل في وسعنا الان أن نقول كلمة في نشأة الجامعة الاسلامية . فأولها هي المدرسة النظامية المعروفة في بغداد ، وقد قام بتأسيسها نظام الملك صديق عمر الخيام ووزير السلطان السلجوقي « ألب أرسلان » سنة سبع وخمسين وأربعمائة للهجرة أى في العام السابق للفتح النورماندى لانجلترا . ثم قامت بعد ذلك بقليل جامعات

أخرى في نيسابور ودمشق وبيت المقدس والقاهرة والاسكندرية وغيرها من البلدان وكثيرا ما قامت في مدن اشتهرت بالعلم قبل قيام الاسلام (١) ...

وهذا القول واضح البطلان لأن الجامع الأزهر كما هو معروف مشهور أنشأه جوهر الصقلي قائد جند أبي تميم معد بعد عام من فتح الفاطميين لمصر أي عام ٥٣٦ هـ . وسرعان ما نشأت صفته الجامعية أيام العزيز بالله الذي كان أول من أقام الدرس في الجامع الأزهر بمعلوم ، ومعنى هذا أن الأزهر قد أصبح مدرسة جامعة قبل إنشاء المدرسة النظامية وقبل فتح النورمانديين لانجلترا بقرن من الزمان ، وليس هذا في حساب التحقيق العلمي بالقليل !..

والأزهر يلخص تاريخ الحضارة الاسلامية كلها في ألف سنة ، ازدهر بازدهارها وانكمش بانكماشها، ذلك أنه لم يكن جامعة وطنية بالمعنى الذي نفهمه اليوم ، بل كان جامعة العالم الاسلامي بأسره يؤمه طلاب العلم من أواسط أفريقية إلى روسيا ومن أقاصى الهند إلى مراکش بل أصبح على الأيام أهم الجامعات الاسلامية وأخطرها شأننا بعد أن خرج العرب من الأندلس وأتت غارات المغل على المدارس والمعاهد الاسلامية خارج مصر ولأنه يقوم في مكان يتوسط العالم الاسلامي غير بعيد من الحرمين الشريفين .

وقد نشأت الجامعة الأزهرية أيام كان الدين قوام الحياة العقلية كلها ، وهو من هذه الناحية يشبه سائر الجامعات في الشرق والغرب إبان القرون الوسطى ، بل إن أشهر الجامعات الأوروبية في أيامنا هذه ، لا تزال تحتفظ بتقاليد ورسوم تدل على أصلها الديني .

* * *

مهدت الجامعات الاسلامية لعصر إحياء العلوم في أوربا وكانت من أكبر الأسباب على قيام النهضة التي تركز الحضارة الغربية على أسسها الفلسفية إلى اليوم ، والأزهر من أعظم هذه الجامعات الاسلامية شأننا بل هو أقدمها وأبقاها ، فقد كان الدرع الواقية للحضارة الاسلامية ، أيام قام المتعصبون من النصارى يريدون انتقاص هذه الحضارة من أطرافها ؛ وكان موئل العربية عندما هبت الشعوبية العاشمة تحاول أن تقوض أركان الحكم العربي والسيادة العربية ؛ وكان رائد النهضة العربية الحديثة يقوم منها مقام الرأس واليد معا ، يدها بالقادة والجند جميعا .

ورأت مصر في فجر هذه النهضة أن تلاءم بين حياتها وبين مقومات الحضارة الغربية الحديثة ، فقبست الكثير من النظم الأوروبية وأنشأت المعاهد حكاية عن الجامعات الأوروبية وليس في النقل والاقْتباس عيب وإنما العيب كل العيب أن تتجاوز عن الموجود القائم بتبعاته على خير الوجوه إلى غيره نخلقه خلقا وننشئه إنشاء ، وكان الأحجى أن تطور جامعتنا الأزهرية العتيدة وأن نجعلها جامعة علمانية حديثة كالجامعات لأوروبية التي تفاخر بقدمها وتحرر البحث العلمي فيها .

وإذا كان الإصلاح الذى ننشده تجديدا لا تبديدا .. فيجب علينا أن نحافظ على تقاليد الأزهر الحسنة قبل أن نغير من معالمه ونبدل من أوضاعه .. يجب علينا أن نحافظ على هذا الشغف بالعلم من أجل العلم الذى كان يدفع بالشباب على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية الى طى البلدان وتجشم الأخطار طلبا لحقيقة من حقائق العلم أو بحثا عن شيخ من الشيوخ .. يجب علينا أن نحافظ على حرية الاختيار التى كانت سمة من أهم السمات فى الأزهر يدرس طالب العلم ما يريد على من يريد فلا تربطه بمادة أو مجموعة من المواد ولا نلزمه بشيخ أو بعدد من الشيوخ ، وشخصية الأستاذ ورسوخ قدمه فى العلم الذى انتدب نفسه له واشتهر به هى التى تقرر مكانه وتحافظ عليه وتجتذب الطلاب والمريدين اليه .. يجب أن نحافظ على « عالمية » الأزهر نعم .. أنه يتسع اليوم لهذه المجموعة التى يتألف منها الوطن الاسلامى العام ولسكنه لا يزال موصدا فى وجه غير المسلمين ، مع أن الدين الاسلامى أكثر الأديان تسامحا وأرحمها صدرا ، فى كنفه عاش فلاسفة اليهود وحكام النصارى وبعض الصابئة من أصحاب النجوم .. يجب أن نحافظ على أن طالب العلم حسبه أن يطلبه فلا تأخذ منه اجرا أو شبه اجر .

وكل إصلاح للأزهر لا يتناول الأسس الفلسفية التى يقوم عليها ، إصلاح ناقص لاجدوى له ولا غناء فيه ، وقد انصبت جميع المحاولات على العرض دون الجوهر فغيرت من مبانيه وقاعاته ورسمت الحدود والمناهج وحاولت أن تستحدث له صفة العصرية فأضافت بعض المواد واللغات

إلى ما يدرس فيه ، ولكن الأزهر الذى ساعد مع غيره من الجامعات الإسلامية على قيام النهضة الأوروبية ظل للأسف الشديد جامعة لما تتحرر بعد من أسار القرون الوسطى .

وأول ما ينبغى أن ينبه إليه أجرياء المصلحين ، أن الأزهر كان جامعاً دينية أيام غلب الدين على مظاهر الحياة جميعاً وأيام كانت العلوم كلها وسيلة إلى فهم هذا الدين بل وأيام كان الحكم والتعامل يتفرعان عنه . وهكذا نشأت الجامعات الأوروبية الكبيرة كما أسلفنا ، ولكنها تطورت واحتفظت بأصلها الدينى فى بعض رسومها وتقاليدها وفى كلية من كلياتها خصصت لدراسة الدين ومقارنته بغيره من الأديان فى غير تخرج أو إعنات ، فلما ذاب الأزهر دون سائر الجامعات العالمية الباقية جامداً على صورته ؟.. يريد بعض المستشرقين أن يرد ذلك لوجود إلى الإسلام وهو منه براء ، فالإسلام لا يعرف « الكهنوت » وهو إذا كان قد سمح بقيام بعض الأئمة المتخصصين ، فذلك لازدحام الأمصار وتعدد الحياة فيها لا أكثر ولا أقل .

وقد كان للنهضة ثلاث مظاهر غير مندجة : الأول يأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية من غير تعديل أو بتعديل يسير . والثانى يحافظ على مقومات الحضارة المصرية الشرقية . والثالث بين بين يحاول أن يوفق بينهما ، ونحن نجد مصداق ذلك فى مرافق الحياة جميعاً وبخاصة فى القضاء والتعليم ، وقد آن الأوان لأن تندمج هذه المظاهر فنحافظ على الصالح من تقاليدنا ونأخذ بما يوافق استعداداتنا ونجعل منهما حضارة موحدة . والمعهد الذى يستطيع أن يقوم بهذا كله هو الأزهر دون سواه .

وجيل الأزهريين الذي أرسل إلى أوروبا أعظم من غير شك من الأجيال التي أتت بعده، وأفهم للروح المصرية العربية واحتياجاتها. وإذا كنا قد أخطأنا فلم نطور الأزهر ونجعله الجامعة المصرية العربية المنشودة، فيجب ألا نغفل عن ذلك الآن حتى يصبح الأزهر جامعة القاهرة الأولى يدرس فيه الطب وسائر العلوم الطبيعية إلى جانب أصول الدين والفقه والكلام.

وثاني ما ينبغي أن ينبه إليه أجرياء المصلحين، هو أن هذه الصفة الدينية للأزهر جعلته سلفيا، فليست غاية الدرس فيه البحث والتحقيق، والموازنة والاختبار، وإنما غاية نقل ما تركه السلف في أمانة وإخلاص والدارسون يتوجهون إلى الماضي لا إلى الحاضر والمستقبل ويفترضون أن الزمن آخذ في الفساد وأن كل جيل يقل عن سابقه، فالعصر الذهبي هو عصر النبوة، يليه عصر الصحابة فعصر التابعين وهكذا، ومن ثم وهنت صلة الأزهر بالحاضر وقلت ثقته بالمستقبل فينبغي أضعاف هذه السلفية، ولا نقول القضاء عليها لأنها مفيدة إذا كانت بقدر وأن تحل محلها النظرة المقابلة لها التي تذهب إلى أن الحياة تتدرج من البسيط إلى المعقد ومن الدنى إلى ما هو أرقى منه، كما هو الشأن في نشأة الحياة وتدرجها وارتقاءها، وإذا كنا قد فقدنا عصرا ذهبيا فلعلنا إذا سائرنا موكب الحياة أن نجد في المستقبل عصرا ذهبيا آخر.

وثالث ما ينبغي أن ينبه إليه أجرياء المصلحين هو أننا يجب أن نوحّد بين سبل التعليم العام، فلا نجعل هنالك صنفين من المدارس

يؤدى الأول بنظام الحلقات المتداخلة إلى الأزهر ويؤدى الثانى بهذا النظام نفسه إلى الجامعة أو ما يشبهها ويقوم مقامها . بل يجب أن تتوحد فرصة هذا التعليم المشترك للجميع ، كما يجب أن تتوحد نظرة الدولة إلى الأزهر وغيره من الجامعات ، فنقضى بذلك على العصرية المعهدية الفاشية بيننا ونسوى بين أصحاب المؤهلات الدراسية المتماثلة ونقضى على المعاهد الملققة التى لم يعد لقيامها من ضرورة أو سبب .

وبعد فهذا كتاب عن الأزهر ونشأته وتقاليده ونهضته قام به صديق الأستاذ عثمان توفيق لمناسبة مرور ألف سنة على نشأة القاهرة المعزية والأزهر ، وقد عاونته فيه بأن قدمت إليه بعض المصادر ، وراجعت بعض الفصول ، وإن شرفنى فوضع اسمى عليه إلى جانب اسمه مع أن جهدى فيه أقل من القليل .

ولعلك بعد ان تفرغ من قراءة هذا الكتاب ، تقتنع معى بأن الجامعة الأزهرية التى قامت منذ ألف سنة والتى قبست منها الجامعات الأوروبية نظمها وتقاليدها والتى حافظت على تراث الرومان واليونان والفرس والعرب ، جديرة بأن تستعيد مكانتها العالمية بين الجامعات التى نشأت بعدها وعلى غرارها والتى لم تقم فى خدمة العلم والحضارة بمقامت به جامعتنا الأزهرية التليدة ؟

المؤلف

القاهرة فى ٢٩ يوليه ١٩٤٦

نسأة الأزهر

العلويون هم نسل علي بن أبي طالب من فاطمة البتول ابنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا وما زالوا يعتقدون أن الخلفاء الراشدين والخلفاء من دولتي أمية والعباس ، نالوا أمر الخلافة من علي ومن بيت النبي اختصاصاً وإنهم أي العلويين ، لهم الحق المقدس فيها . والفاطميون أولاد عبد الله المهدي يدعون كذلك أنهم من أولاد فاطمة بنت رسول الله فهم علويون أيضاً . وقد كانت دعواهم تلك محل أخذ ورد من الكتاب والمؤرخين الأقدمين والمحدثين ، فبعضهم ناقض هذا النسب وأثبت عدم صحته والبعض الآخر حاول إقراره وإثباته . فيقول ناقضوه إن عبد الله المهدي ينتسب إلى ميمون بن ديسان البوني وإليه تنتسب الثنوية الذين يعتقدون بوجود إلهين إله التور وإله الظلمة . ويقال إن عبد الله بن ميمون مؤسس مذهب القرامطة جد الخلفاء الفاطميين ، فقد كان زعيم حزب صغير عند ظهوره أخذ يعظم

حتى أصبح هذا الحزب أسرة حاكمة امتدت فتوحها شرقاً وغرباً حتى وصلت إلى أرض الفرات .

وكان عبد الله بن ميمون هذا ، رجلاً يدعى الزهد والعلم والتقشف عالماً بجميع السنن والمذاهب . وقد رتب سبع دعوات يتدرج الإنسان فيها حتى ينحل عن الأديان كلها فيصير إباحياً لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ، وصار له دعاه فأخذ ينشر بين الناس دعوته فاستطاع بذلك أن يجمع حوله الأنصار والمريدين . ثم طلب من أنصاره أن يدفعوا قديراً من المال ضريبة تعيينه على نشر مبادئه . فوصل إلى الوالي نبأه فحاول القبض عليه ، فهرب من فارس إلى البصرة ، ثم رحل إلى الشام حيث مات هناك ، خلفه ابنه أحمد في نشر الدعوة إلى أن وافته المنية ، خلفه ابنه الحسين ثم أخوه محمد المعروف بأبي الشلعلع وهو الذي أرسل إلى المغرب عبد الله الشيعي وأخاه العباس لنشر الدعوة هناك . ومات الحسين عن ولد اسمه سعيد صار تحت حجر عمه . اشتهر بكثرة ماله وأنصاره ببلدة سليمة بالشام . فطلبه الخليفة العاضد فهرب إلى مصر يريد بلاد المغرب فقبضه عيسى البوشري أمير سجلماسة فأنقذه عبدالله الشيعي وصحبه إلى رفاة حيث سمي بالمهدى وتلقب بأمرير المؤمنين وانتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وذكر في خطبة الجمعة وبث العمال وضرب السكة باسمه . وكان يلبس الحشن من الثياب ويأكل الغليظ من الطعام .

وقيل إن أصله من الجوس ، بل ذهب بعضهم إلى أن سعيداً هذا

كان ابن حداد يهودى مجهول تزوجت أرملة بعد وفاته بالحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون ، فتبنى سعيداً وأدبه وعلمه أسرار مذهب الإسماعيلية ، فلما وافته منيته ، وكان من غير ولد ، أوصى أنصاره بطاعة سعيد بعد أن زوجته ابنة عمه أبي الشلحلع ، فنسب سعيد باسم عبد الله المهدي .

وقد ذكر ابن خلكان أن جماعة من علماء مصر طعنوا في نسب المعز إلى علي بن أبي طالب . واجتمع المعز يوماً ببعض الأشراف والعلماء فسأله ابن طباطبا « إلى من ينتسب مولانا؟ » فسل المعز سيفه وقال : « هذا نسبي » ثم غمرهم بالذهب وقال : « هذا حسبي » ومن هذا التاريخ يقال : « سيف المعز وزهبه » للإشارة إلى بطلان الشيء .

أما المؤرخون الذين يؤكدون نسبة الفاطميين إلى علي بن أبي طالب ، فيقولون إن سعيداً بن أحمد بن عبد الله المهدي هو ابن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وإن أولاد علي بن أبي طالب كانوا من كثرة العدد وجيليل القدر بحيث لا يستطيع أن يدعى لابن يهودى ويهمل أولاد علي ، وأن كل طعن صدر في صحة نسب الفاطميين إلى علي وزوجه فاطمة ، ماهى إلا طعون موضوعة مغرضة صادرة من فريق من الناس غصوا بمكان الفاطميين . وقد اتصلت دولتهم نحو ١٧٠ سنة ملكوا من العباسيين المغرب ومصر والشام والحرمين واليمن ، وألفوا وكتبوا متأثرين بسطان العباسيين أو مجارين أعداء الأسرة الفاطمية ، عسى أن يحط ذلك من شأنهم في أعين رعاياهم بعد

أن عجزت عساكر بني العباس وأمرأهم عن مقاومتهم فأشاعوا ذلك كي يدفعوا به عن أنفسهم معرفة الهزيمة وفقدانهم مصر والشام والحرمين .
نضرب لذلك مثلا القول المأثور « سيف المعز وزهبه » فقد ثبت قطعاً أن وصول المعز إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ كان بعد وفاة ابن طباطبا بأربع عشرة سنة .

ويقول ابن الأثير ، إنه ناقش مسألة هذا النسب مع جماعة من العلويين العالمين بالأنساب فلم يرتابوا في صحته .
ويقال إن طائفة من بلاط الإخشيد قدمت للمهدي كل ما استطاعت من معونة لا لشيء سوى أنه من أولاد علي .

وقد لقي الفاطميون في أول عهدهم بنشر مبادئهم كثير أمن الاضطهاد من خلفاء بني العباس الطاعنين في هذا النسب والحاتقين من أبناء علي .
فصار الشيعة ما بين طريد شريد وبين خائف يتربص . فكثرت حوادث القبض عليهم والتنكيل بهم ، فلاذوا بالاختفاء حتى كثر مريدوهم ، وانتشرت دعوتهم وقويت شوكتهم ، فاستتب لهم الأمر في بلاد المغرب لبعدها عن مقر الخلافة العباسية في بغداد ولقيام البربر في المغرب بثورة على الأسرة الحاكمة فيها . وساعد على ذلك قتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه العباس وكان لهما نفوذ كبير منافس فأصبح المهدي الحاكم المطلق .

ولما مات عبد الله ولي بعده ابنه القاسم ، فاتسع نفوذ الفاطميين في عهده وماكوا القيروان . ثم ولي المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل

وقام من بعده ابنه (المعز لدين الله أبو تميم معد) وكان عمره أربع وعشرين سنة . فقد ولد للنصف من رمضان عام ٣١٧ هـ ، فانقاد إليه البربر وأحسن إليهم فعظم أمره .

واختص المعز لدين الله من مواليه جوهر الصقلي وكناه بأبي الحسن . وأعلى قدره وأسند إليه رتبة الوزارة وعقد له على جيش كشياف لأخذ مصر وفتحها . وكانت ذات أهمية قصوى لدى الفاطميين الذين رأوا أملهم في إقامة دولة علوية في آسيا قد ابتدأ ينهار من أساسه ، نظراً لما لاقته الدعوة في الشام وما جاورها من البلدان من عظيم المناهضة وما عاناه القائمون بها على يد العباسيين من قتل وسجن وتشريد . ولم تكن القيروان ولا المهديّة من المدن الصالحة لأن تكون حاضرة لإمبراطورية فاطمية عظيمة . وكان لكثرة ما قام به الفاطميون في مصر لأنفسهم ولمبادئهم من الدعاية أثر كبير في تيسير فتحها . حتى قيل إن المصريين وعدوا الفاطميين بمساعدتهم عند الفتح .

ولد جوهر الصقلي بجزيرة صقلية وكانت من أعمال الدولة الرومانية . وظلت كذلك حتى فتحها الأغالبة سكان شمال إفريقيا على يد أسد بن الفرات في عصر الخليفة المأمون ، فاعتنق أهل الجزيرة الإسلام إثر الفتح . وكثرت المساجد في الجزيرة ، وأربت على الثلثمائة ، وكانت سبباً في انتشار اللغة العربية حتى أصبحت اللغة الرسمية بل لغة التخاطب .

ولما ولد جوهر سنة ٣٠٠ هـ ، كان الإسلام قد انتشر إنتشارا عظيما في ربوع الجزيرة ، فنشأ جوهر في بيئة إسلامية خالصة وثقف ثقافة عالية بفضل انتشار اللغتين العربية واللاتينية وأخذ بنصيب من الحضارتين العربية والرومانية .

ولم يعرف عن جوهر إلا أنه كان مولى من موالى المعز ، ولم يذكر التاريخ شيئا هاماً عن والديه ولا بيته ولا البيئة التي نشأ فيها . وكل الذي ذكره أن أباه كان يعرف باسم عبدالله وأنه حضر فتح الأغالبة لجزيرته ، فأجداده إذن لم يكونوا مسلمين .

وقد اختص المعز جوهر آ وقربه إليه لإخلاصه له وتبحره في الدين ومقدرته الحربية الفائقة . وتدرج جوهر في المناصب ببلاد المغرب فولى منصب كاتب الخليفة عام ٣٤١ هـ ، ثم ارتقى لمنصب الوزارة عام ٣٤٧ هـ ، ثم بعثه المعز في نفس العام لفتح ما بقي من بلاد المغرب ففتح مدنها حتى وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي بعد أن قبض على صاحبي فاس وسجلماسة ووضعهما في قفصين حملهما مع هدية إلى الخليفة المعز وهو في المهديّة . وبذلك توطد الأمن في جميع بلاد المغرب في أقل من سنة . فاختره المعز لقيادة الحملة التي كان يزعم إرسالها لفتح مصر ولقبه (بالقائد) بعد أن أيقن بما وقف عليه من رسله ودعائه أنه لن يلتقى في فتحها مشقة كبيرة ذلك أن الدولة الفاطمية في ذلك الحين كانت قد بلغت أوجها من القوة والفتوة .

خرج جوهر في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني عام ٣٥٨ هـ

(فبراير عام ٩٦٩ م) على رأس جيش يربو على مائة ألف بخلاف الخيل. وسرعان ما وصل إلى برقة ثم إلى الاسكندرية التي دخلها بدون عناء وأمن أهلها. وأدى دخوله الاسكندرية إلى اضطراب أهل الفسطاط، فالتدبوا أبا جعفر مسلم وهو شريف علوى في طلب الصلح مع جوهر. فقبل جوهر الصلح وفيه تعهد بحماية مصر من المغيرين وقطاع الطرق مع ترك الحرية العامة للمصريين في إقامة شعائرهم الدينية وتعهد باصلاح الجوامع والسكة ومنع غشها.

سار جوهر بعد ذلك إلى الجيزة ثم إلى مدينة مصر فالفسطاط واحتلها بعد غروب شمس يوم ١٧ شعبان عام ٣٥٨ هـ (١٧ يوليو عام ٩٦٩ م) وعسكر في الفضاء الواقع شمالها.

وخط جوهر في الليلة نفسها مدينة القاهرة لتكون مقراً للملك الفاطميين ومركزاً لنشر دعوتهم الدينية، ثم وضع أساس القصر الكبير داخل سور القاهرة. وقد أمره المعز ببنائه ووضع له رسمه. وسرعان ما بنى جوهر الجامع الأزهر بالقاهرة.

وقد عرفت مصر قبل إنشاء مدينة القاهرة ثلاث مدن إسلامية هامة. كانت أولها مدينة الفسطاط التي أنشأها عمرو بن العاص عقب فتحه مصر عام ٢١ هـ (٦٤١ م) والثانية مدينة العسكر التي أنشأها الجنود العباسيون عام ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) بالقرب من مدينة الفسطاط عقب القضاء على آخر خليفة أموى في مصر. والثالثة مدينة القطائع

التي بناها أحمد بن طولون رأس الأسرة الطولونية عام ١٥٦ هـ (٨٧٠ م) لتكون حاضرة مملكته الجديدة .

فكان في مصر أثناء الفتح الفاطمي ثلاث مساجد هي : جامع عمرو بمدينة الفسطاط مركز الحركة التجارية حيث يزدحم السكان وجامع ابن طولون في القطائع وجامع العسكر . ثم أنشئ الجامع الأزهر . ولم يكن الغرض من إنشائه أول الأمر الصلاة فقط ، بل كان هناك ما هو أقوى وأهم ، وهو نشر المذهب الشيعي وإذاعة الأخبار وأغراض سياسية أخرى هامة .

وخطب للعز في جامع عمرو في التاسع عشر من شعبان عام ٣٥٨ (٩٩٦ م) بدل الخليفة العباسي ، وبعد استيلاء جوهر على الفسطاط بأيام قليلة . ويعتبر ذلك حادثاً هاماً في تاريخ مصر . ثم زيد بعد ذلك في الخطبة (اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً ، اللهم صل على الأئمة الراشدين أباء أمير المؤمنين الهادين المهديين) .

وفي رمضان عام ٣٥٩ هـ أمر جوهر بأن تنقش جدران جامع عمرو باللون الأخضر شعار العلويين .

وقد كان الأذان بجامع ابن طولون إلى قبيل الفتح الفاطمي لمصر كأذان أهل المدينة وهو (الله أكبر ، الله أكبر) حتى صلى جوهر بالجامع فأذن المؤذنون (حي على خير العمل) وهي العبارات المألوفة

عند الشيعة . وانتقلت هذه العبارة من جامع ابن طولون إلى جامع
العسكر ومنه إلى جامع عمرو وبعد ذلك ، واستخدمت هذه المساجد
بعد ذلك لتعليم اللغة العربية وأصول الدين .

ما كاد جوهر يضع أساس القاهرة إذن، حتى شرع بعد تسعة شهور
بناء مسجد يتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمي ، ويصبغ المصريين
بصبغتهم ديناً وسياسة ، ولتربية الذئء على الولاء لهم وتقديس مبادئهم .
وقد شرع في بناء الأزهر في الرابع والعشرين من جمادى الأولى
سنة ٣٥٩ هـ ، وأقيمت الصلاة فيه أول مرة في اليوم السابع أو التاسع
من رمضان عام ٣٦١ هـ . واختير لبنائه مكان في الجنوب الشرقى من
القاهرة بالقرب من القصر الكبير بين حى الديلم وحى الترك .

وسمى الأزهر لأنه كان محاطاً بقصور زاهرة ، ولأنه كان أكبر
الجوامع على الإطلاق فخامة ورواء ، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى
القول بأنه سمي باسم فاطمة الزهراء التى ينتسب إليها الفاطميون ، ويقال
إنه سمي كذلك تفاقلاً بما سيكون له من الشأن والمكانة بازدهار العلوم فيه .
والأزهر أول مسجد أنشئ بالقاهرة . وعند ما أنشأه جوهر
ترك أمامه رحبة واسعة تبتدىء من خط الطارمة إلى الموضع الذى كان
فيه مقعد الألفانيين ، أى تقريباً من السكة الجديدة إلى التبليطة .
وعرضها من باب الجامع البحرى إلى الخراطين ، أى الصناديقية ولم يكن

بين هذه الرحبة ورحبة قصر الشوك إلا إسطلب الطارمة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر ، تدخل العساكر كلها وتقف في هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة إلى الجامع . وبقيت هذه الرحبة إلى وقت الدولة الأيوبية . ثم شرع الناس بالعمارة فيها حتى لم يبق لها أثر . وكان الأزهر كسائر الجوامع الإسلامية في العصر الذي بنى فيه يشتمل على محل مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر غير مسقوف يسمى صحنًا .

ويزوى أنه كان بالبناء الأول للجامع طلسم ، وهي صورة طيور منقوشة على رأس ثلاثة أعمدة حتى لا يسكنه ولا يفرخ به عصفور أو حمام أو يمام . وقد نقشت كل صورة على رأس عمود ، منها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس وأخرى في الجهة الغربية وثالثة في آخر العمودين على يسار من استقبال سدة المؤذنين .

ولم يعثر إلى الآن على أى مصدر يفهم منه ما كان عليه الجامع عند إنشائه وكيف صمم أو كيف بنى . وقيل إنه كان مكونا من رواق ذى خمس بلاطات ، تسير من الشمال إلى الجنوب ، وكان على الجانبين يمينا وشمالا ، رواق من ثلاث بلاطات . أما في الجهة المقابلة لحائط المحراب ، فكانت بالرواق بلاطة واحدة ، وتتوسط رواق القبلة بلاطة رئيسية تسير من الصحن إلى القبلة ، وتقف البلاطات الخمس على جانبيه بمسافة قليلة . وأقيمت قبة الرواق الأول (من ناحية حائط القبلة) على يمينه المحراب والمنبر وكان إنشاء البلاطة الرئيسية والقبلة على يمينه المحراب والمنبر من

خصائص العمارة الفاطمية . ولم يكن للجامع ميضأة عند ما بنى . وباب الجامع البحري الذي كان يدخل منه الخليفة موجود إلى الآن غير أنه مسدود ، ويقال إنه كانت في محراب الجامع منطقة من الفضة تزن ٥٠٠٠ درهم أخذها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٩٦ هـ .

وكتب جوهر بدائرة القبة نقشا تاريخه عام ٣٦٠ هـ « مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آباءه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب وذلك في سنة ستين وثلثمائة » وقد اختفى هذا النقش .

وكان الفاطميون قد رأوا أنه من الحزم عدم أخذ أهل مصر السنين على غرة في المساجد في مبدأ حكمهم ، بإضافتهم إلى الخطبة عبارة (السلام على الأئمة آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله) ، ولكن بمرور الوقت تطورت الدعوة الفاطمية تطورا عظيما ، فنقش على جدار الأزهر بأمر الخليفة عبارة « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمير المؤمنين على بن أبي طالب » .

ويقول المقرئ إن المعز والعزير كانا يقيمان الخطبة في الأزهر إلى أن فتح مسجد الحاكم عام ٣٨٠ هـ . ثم انتظمت الخطبة في مساجد عمرو وابن طولون .

وقد زين الأزهر ومناراته في عهد المعز بالأنوار الساطعة ، مما جعله يبني منظره في قصره ليشاهد هذه الزينات ليلا ، فسميت منظره الجامع الأزهر . وكان الخليفة يجلس في هذه المنظره ليالى الوقود ، وهي ليلة

مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه .

ففي كل يوم من هذه الأيام الأربعة يسير قاضي القضاة ومعه الشهود والمؤذنون والقراء ، وقد أوقدت بين يديه الشموع ، من دار القضاء إلى دار الخلافة . ثم يدخل مع صاحب الباب وحاكم القاهرة تحت منظر الخليفة ويقومون بالخطابة إلى أن يسلم عليهم من الطاقة أستاذ دار الخلافة فينصرفون إلى دار الوزارة لتحية الوزير ، ثم يزورون الجامع الأزهر وجامع عمرو وجامع العسكر وجامع الفسطاط ، وقد أنيرت جميعها بالشموع والقناديل ، حيث يصل في كل جامع ركعتين لصاحبه ، ثم تقدم للناس الحلوى والأطعمة وترسل البخور في مجامر الذهب والفضة . وقد كانت هذه الليالي من أبهج الليالي وأحسنها .

وكان من رسوم الجوامع والمساجد أن يتولى قاضي القضاة أحباسها وإليه أمرها ، وكان لها ديوان مفرد . وبلغت أحباسها عام ٣٦٣ هـ ألف ألف درهم وخمسة آلاف درهم . وكان مرتب كل مشهد خمسين درهما شهريا . وجرت عادة القضاة قبل رمضان أن يروا على المساجد والجوامع ليتفقدوا أحوالها .

ويقول المقرئ إن أول ما درس في الأزهر من العلوم ، هو الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة ، ففي صفر عام ٣٦٥ هـ جلس قاضي مصر أبو الحسن علي بن النعمان بن محمد بن حنون بالجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت (فقه الشيعة) ويعرف هذا المختصر (بالاختصار) وقد حضر هذا الدرس عدد عظيم من الناس . وأثبت أسماء الحاضرين .

378
611
489

ويعد الخليفة العزيز الفاطمي أول من أوقف الجامع الأزهر على العلم ، وأول من أقام الدرس به عام ٣٧٨ هـ . فتحول بذلك من جامع إلى جامعة . إذ ما كاد يتولى الخلافة حتى قام ومعه وزيره أبو الفرج يعقوب بن كلس - وكان من فحول العلماء ، يدين باليهودية ثم اعتنق الدين الإسلامي - بتعيين خمسة وثلاثين عالما شيعيا إسماعيليا لتدريس الفقه على مذهب الفاطميين ودراسة الأدب وعقائد الدين بالأزهر ، وأسأهم المجاورين ، إذ ابتقى لهم المنازل المجاورة للجامع وأسكنهم فيها ، وأجرى عليهم الأرزاق والخلع ومنحهم العطايا والهدايا وقد ضمت منازلهم بعد ذلك إلى أروقة الأزهر .

ورغب الفاطميون في جعل المسجد من الأهمية وعظم الشأن بحيث يجتذب طلاب العلم من كافة أرجاء البلاد الإسلامية . فقدموا إليهم الماء كل والمشرب والمسكن والملبس من غير أجر .

وذكر لنا المقرئ وصفا خلافا لصلاة الجمعة ، كما كان يقيمها الخلفاء الفاطميون في الجامع الأزهر في شهر رمضان . فكان صاحب بيت المال يذهب مبكرا إلى الأزهر ليشرف بنفسه على تنظيفه وتنظيمه وإعداده لصلاة الجمعة للخليفة ، فيفرش الحرم بالسجادات اللطيفة والمحصر ، ثم تغلق أبواب المسجد ويجعل عليها الحجاب والبوابون . وكانت توضع في المقصورة ثلاث طنافس دمقسية أو سامانية بيضاء بعضها فوق بعض ، وتوضع فوق الجميع الحصيرة التي يقال إنها كانت لجعفر الصادق وأحضرت إلى مصر سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) في عهد الحاكم

400
611
1000

بأمر الله ، وكان ينصب على جانبي المنبر ستران أحمران رقيقان كتب على الأيمن البسملة والفاحة وسورة الجمعة وعلى الآخر البسملة والفاحة وسورة المنافقين ، ويقوم قاضى القضاة قبل قدوم الخليفة بتبخير القبة التى يقف تحتها الخليفة وقت إلقاء الخطبة ، وكان يضعها أحد كتاب البلاط . وكان الخليفة فى هذا اليوم يرتدى ثوبا من الحرير الأبيض ، ويتعمم بعمامة من الحرير الأبيض الدقيق كذلك ، ويحمل فى يده قضيب الملك ويحف به عدد كبير من الأشراف والعلماء والعسس وحرسه الخاص .

وذكر أبو المحاسن أن الخليفة الأمر كانت تحف به الفيلة والأسود المزيّنة بالكسى الفاخرة والأسلحة اللامعة ، ويقال على الرغم من شغف الحاكم بأمر الله الشديد بأن تكون مواكبه فى غاية الأبهة ، فقد كان ينيب وزيره عنه فى صلاة الجمعة لأنه كان يرتج عليه فى الخطبة .

وكان الخليفة يركب بين قرع الطبول ورنين الصنوج وقراءة القرآن بنغمات شجية ، بعد أن يسلم لكل واحد من مقدمى الركاب أكياس الذهب والفضة . ويستمر الحال كذلك إلى أن يصل الخليفة إلى قاعة الخطابة ويظل فى القاعة حتى ينتهى الأذان . حينئذ يخرج ويأخذ مكانه تحت قبة المنبر ، فيقف الوزير على باب المنبر ووجهه للخليفة ، فإذا أوماً إليه صعد فقبل يدي مولاة ورجليه وزر سترى الحرير عليه ، وبذلك يكون المنبر والقبة كالهودج ، ثم ينزل الوزير وينتظر على باب المنبر ، فإذا لم يكن الوزير صاحب السيف ، فإن قاضى القضاة

هو الذي يزر السترين . وكانت الخطبة التي يلقيها الخليفة قصيرة تشتمل على آية من القرآن . ثم يذكر الخليفة نفسه بعد الآية ، ثم قومه بعبارة موجزة فيقول (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) ويدعو بعد ذلك لوالده وجده ولمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولعلي رضى الله عنه . ثم يختم الخليفة الخطبة بالدعاء للوزير وبنصر الجيش وخذلان الكفار والمشركين فإذا فرغ من خطبته قال « اذكروا الله يذركم » ثم يصعد الوزير فيحل السترين ، ثم يأخذ الخليفة في الصلاة ، فيبلغ الوزير عنه ، ثم قاضى القضاة ، ثم المؤذنون ، فإذا ما انتهت الصلاة ، يخلو الجامع من الناس ويخرج الخليفة يحيط به الوزير عن يمينه وقاضى القضاة عن يساره ويعود بموكبه إلى قصره .

وقد كانت الخطابة في عصور الأزهر الأولى من مهام الخليفة فيجد المعز لدين الله يلقي الخطبة بنفسه مكتسباً صفة الإمامة متخلياً ببعض الشيء عن صفة الخلافة ، بل نجده في كثير من الأحيان وأثناء قيامه بواجباته الدينية حريصاً على إمامته ضنيناً من أن يؤديها غيره ، بل نراه يحاول أن يتشبه بالنبي ، والخلفاء الراشدين الذين كانوا يقومون بأنفسهم بإلقاء خطبة الجمعة في الجامع . ومما ساعده على ذلك ما كان عليه المعز من صفات الخطباء ، فقد كان مفوهاً فصيحاً ذا تأثير سريع قوى في سامعيه ، وكثيراً ما ذهب بالناس إلى حد البكاء بقوة وعظه وعظم بلاغته .

وحذا حذو المعز كثير من الخلفاء الفاطميين ، فكانوا يلقون
الخطبة بأنفسهم ، ولكن الحال تغير في العصور المتأخرة ، أيام الخلفاء
الضعاف والمستهترين خاصة ، فأصبح للجامع الأزهر خطيب خاص به
يلقى الخطبة بين يدي الخليفة في أيام الجمع والموالد التي كانت تحتفل
بها مصر في كل عام ، وهي المولد النبوي ومولد علي بن أبي طالب
ومولد زوجه فاطمة الزهراء ومولد ولديها الحسن والحسين ، ثم مولد
الخليفة القائم . ولم يقتصر خطيب الأزهر على ذلك ، بل كان يخطب في
ليالي الوقود الأربعة متقدما على خطباء المساجد الأخرى .

وكانت وظيفة خطيب الجامع الأزهر تعد من الوظائف الدقيقة
التي يحاول أن يرتفع إليها كثير من يتولون مناصب الدولة الكبيرة .
فقد ذكر ابن ميسر أن وظيفة الخطابة بالجامع الأزهر قد أسندت عام
٥١٧ هـ إلى داعي الدعاة أبي الفخر صالح ...

عمارة الأزهر

ومع أن الأزهر مازال يحتل المكان الذي أقيم عليه منذ ألف عام فقد تعاقبت الزيادات على البناء الأصلي وزاد ما أوقف عليه من عقار ورباع فتحول الأزهر من مسجد صغير إلى جامع كبير ومركز عظيم للعلم ، فأصبح يحتل مساحة تقرب من ١٢٠٠ متر مربع ، وبلغ عدد أعمدته ٢٧٥ عموداً وقد زاد كثير من الخلفاء الفاطميين في بنائه وأعيد تجديد أجزاء كثيرة منه في خلال القرون المتعاقبة عليه كما أضيفت إليه زيادات عدة . وإذا كان الجامع مازال يشتمل على بقية ضئيلة من الأفاريز السكوفية والعقود الفارسية التي تعد من مميزات العمارة الفاطمية فإن معظم أجزائه الموجودة الآن من عصر متأخر .

وأول من زاد في بنائه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، فقد جرده وأوقف عليه رباعاً بمصر وضمن ذلك كتاباً بأن الوقف لمصلحة الجامع وبقاء العين ومرمته بماحبس عليه وقضى في وقفيته على توزيع مبالغ سنوية للخطيب وشراء حصر مضافورة لسكسوة الجامع وبخور وكافور ومسك لشهر رمضان وأيام الجمعة ، كما خصص مبالغ أخرى لسكنس الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وشراء الخيط وأجرة الخياطة

والسقاء وثمان الحبال والقواديس وعشرين قنديلا من الفضة شرط أن تعلق في شهر رمضان فقط ثم تعاد إلى مكان خاص جرت العادة أن تحفظ فيه .

كما اهتم بالجامع الخليفة العزيز بالله بن المعز فقد جدد فيه أشياء كثيرة ونواحي متعددة وبنى حوله الكشيش من الدور والمنازل وأوقف عليه بعض الأوقاف .

وقام المستنصر بالله معد بن الطاهر لاعزاز دين الله بتجديده مدة حكمه . وسار على خطته حفيده المنصور أبو علي الأمر بأحكام الله ، فوضع على يده عام ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) محرابا من الخشب عليه لوح خشبي كتب عليه « بسم الله الرحمن الرحيم ، حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر سيدنا المنصور أبو علي الإمام الأمر بأحكام الله » وهذا اللوح موجود الآن بدار الآثار العربية .

وفي عام ٥٢٤ هـ (١٢٣٠ م) جدد أبو الميمون الحافظ لدين الله عبد المجيد بعض أبنية الأزهر وأنشأ فيه مقصورة جميلة عرفت بمقصورة (فاطمة) لأنه قيل إن فاطمة الزهراء رضی الله عنها رويت بها في المنام ، وكانت تلك المقصورة بجانب الباب الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات .

ولكن الحال تغير في عهد الأيوبيين أهل السنة ، فحاولوا محو كل أثر للفاطميين ، فأمر صلاح الدين الأيوبي بمنع الخطبة في الجامع الأزهر

11 28
519
606

وقطع الكثير مما أوقفه عليه الحاكم بأمر الله ، ويذكر لنا المقرئ أن صلاح الدين يوسف بن أيوب قلد وظيفة القضاء للقاضي صدر الدين ابن عبد الملك بن درياس الشافعي فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع إقامة الخطبتين في بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشافعي ، فأبطل الخطبة والتدريس في الجامع الأزهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكمي بحجة أنه أوسع . فأهمل الأزهر منذ ذلك التاريخ ، وامتدت يد المعتصمين إلى معظم أوقافه ، وأخذت جدران وأركانها في التدهار . ثم أعيد إلى الجامع درس . وأول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه ، ثم أدخلت إليه المذاهب الأخرى تباعاً .

وانقضى نحو قرن من الزمان قبل أن يستعيد الجامع الأزهر عطف الولاية ووجوه البلاد عليه ، فلما تولى الملك الظاهر سلطنة مصر تحدث في مسألة إعادة الخطبة إلى الجامع الأزهر . ولكن قاضي القضاة ابن ثبوت العز الشافعي امتنع عن إعادتها فعزله السلطان وولى مكانه قاضياً حنيا فأعيدت الخطبة عام ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ - ١٢٦٧ م) .

وزاد بيبرس في بناء الجامع وشجع العلم والتعليم فيه ، كما حدا حذوه كثير من أمرائه أشهرهم الأمير عز الدين أيدير الحلي الذي أقام احتفالاً رسمياً عظيماً في الجامع الأزهر ابتهاجاً بعودة الخطبة إليه ، كما أقام احتفالاً فاخراً في داره حضره رجال الدولة والأمراء والكبراء . وكان هذا الأمير يجاور الأزهر بسكناه ، فلهس ما وصل إليه حاله من التأخر والاضمحلال فعزم على إصلاحه ، فانتزع له ما اغتصب مما أوقف عليه

وتبرع له بمبلغ كبير من ماله الخاص وجمع له من الأمراء الكثير من المال بجانب ما أطلق من يد السلطان وشرع في عمارته ، فأعاد بناء الواهي من أركانه وجدرانه وسقوفه وبلطه وفرشه بالحصر وكساه فعاد إلى عظمته الأولى كما استجد به مقصورة حسنة الصنع .

ومنذ ذلك العهد إلى الجامع ما كان له من صيت داوى وأصبح معهداً علياً يؤمه الناس من كل فج بعد أن لقي الأزهر من عناية البلاد الشيء الكثير ، وزاد في مجده أن غزوات المغول في الشرق قضت على معاهد العلم فيه ، وأن الإسلام أصابه في المغرب من التفكك والانحلال ما أدى إلى دمار مدارس الزاهرة .

وفي عام ٨٠٢ هـ (١٣٠٢ - ١٣٠٣ م) خرب مصر زلزال عنيف فسقطت معظم جوامع مصر ومن ضمنها الجامع الأزهر والجامع الحاكمي وجامع عمرو . فسارع أمراء الدولة إلى تجديدها ، فكان الأزهر من نصيب الأمير سيف الدين سلار (من رجال دولة المماليك البحرية) وكان ثريا ، فجدد مبانيه وأعاد ما تهدم منها .

وفي عام ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ - ١٣١٠ م) انتهى الأمير علاء الدين طبرس الخازندارى (نقيب الجيوش) من إنشاء مدرسة الطبرسية (دار الكتب الأزهرية الآن) وجعلها مسجداً وقرر بها درساً للفقهاء الشافعية وتأثق في رخامها وتذهيب سقوفها وجميعه على أشكال المحاريب وفرشها ببسط منقوشة بشكل المحاريب كذلك وجعل في المدرسة خزانة كتب .

ثم جددت عمارة الجامع في عام ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) على يد محتسب
القاهرة القاضي نجم الدين محمد بن حسن الأسعردى (من أسعرد
بأرمينية) .

كما بنى آقبا عبدالواحد المدرسه الآقباوية عام ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م)
وقد ألحقت هذه المدرسة وكذا المدرسة الطيرسية فيما بعد بالأزهر
ومازالتا جزءا منه إلى الان .

وفي عام ٧٦١ هـ جددت عمارة الأزهر ، عندما سكن الأمير
الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى بجوار الأزهر وبني داراً
كانت تعرف وقت ذاك بدار بشير الجامدار ، فأحب لقربه من الجامع أن
يؤثر فيه أثراً صالحاً فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن
قلاوون في عمارة الجامع وكان مقرباً إليه فأذن له ، وكان قد استجد
بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه الكثير من الصناديق والخزائن حتى
ضيقته على سعته ، فأمر بإخراج تلك الصناديق والخزائن ونزع تلك
المقاصير ، وتتبع جدرانها وسقوفة بالإصلاح حتى عادت إلى جدتها الأولى
كما يبض الجامع بأكمله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه
مصحفاً وجعل له قارئاً وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتاً لتسييل الماء
العذب فى كل يوم . وعمل فوqe مكتب سبيل لإقراء أيتام المسلمين كتاب
الله العزيز ، ورتب للفقراء المجاورين طعاماً يهياً كل يوم ورتب فيه درساً
للمتفهاء من الخنفية يجلس مدرسهم لإلقاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف
على ذلك أوقافاً جميلة .

وفي عام ٧٨٤ هـ ولى الأمير الطواشى بهادر المقدم على المماليك السلطانية نظر الجامع الأزهر فأصدر مرسوما من السلطان الملك الظاهر برقوق بأن من مات من مجاوري الأزهر من غير وراث شرعى وترك موجوداً كان من حق مجاوري الجامع . ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحرى .

وسقطت مناره الجامع عام ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ - ١٣٩٨ م) وكانت قصيرة فأعاد بناءها فى الحال السلطان برقوق وأنفق عليها من ماله خمسة عشر ألف درهم . ثم سقطت مرة أخرى عام ٨١٧ هـ (١٤١٤ - ١٤١٥ م) لميل ظهر فيها فأقام بدلا عنها منارة من الحجر على باب الجامع البحرى بعد أن هدم هذا الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقدة وأخذ الحجر لها من مدرسة الأشرف خليل التى كانت تجاه قلعة الجبل وقام بالعمارة الأمير تاج الدين الشوبكى والى القاهرة ومحتسبها، ولكن تلك المنارة لم تعمر طويلا ، فالت بدورها وتهدمت لثالث مرة عام ٨٢٧ هـ (١٤٢٣ - ١٤٢٤ م) فأعيد بناؤها .

وحوالى هذا العهد أنشأ السلطان برقوق صهرىما كبيرا للبياة وشيد سبيلا وأقام ميةضأة حيث المدرسة الأقبغوية .

وفي عام ٨١٨ هـ ولى نظر هذا الجامع الأمير سودوب القاضى صاحب الحجاب . وكان يسكن الجامع الأزهر منذ بنى بعض الفقراء والمجاورين الذين لا يستطيعون السكن فى الخارج لشدة فقرهم وجدبهم ، وقد بلغ عدد هؤلاء فى زمن الأمير سودوب ما يزيد على السبعمئة والخمسين ما بين

عجم ومغاربة ومصريين وبعض التجار والجنود . وكان لكل طائفة من هذه الطوائف رواق خاص بها . وكان الجامع في ذلك الوقت عامراً بقراءة القرآن والاشتغال بأنواع العلوم الدينية والفقه . وصار أصحاب الأموال والموسرين يقصدون الجامع ببرهم وإحسانهم في المناسبات والمواسم . فأمر الأمير في جمادى الأولى من عام ٨١٨ هـ بإخراج جميع المجاورين واللاجئين من الجامع الأزهر ومنعهم من الإقامة فيه بدعوى أنهم استخدموا الجامع في غير ما أنشئ له وأنهم يرتكبون فيه المنكرات . فلما تسكأوا في إطاعة أمره قبض على عدد كبير منهم وأمر بضربهم في صحن الجامع وساعده على ذلك جماعة من أعوانه وبعض الغلمان والسوقة وغوغاء العامة ومن كان يرغب في السلب والنهب . فخل بساكني الجامع البلاء والعطب ووقعت فيهم السرقة فسلبت فرشهم وملابسهم وكتبهم . وأصبح الجامع قاعاً صافصفاً وهجره جميع من كان فيه إلى أن قبض السلطان على الأمير سودوب لخيانته وسجنه في دمشق .

وشيد الطواشي جوهر القنقبائي المتوفى عام ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ - ١٤٤١ م) مدرسة بالقرب من المسجد هي المدرسة الجوهريّة .
 ويعد الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودى (٨٧٢ - ٩١٠ هـ)
 (١٤٦٧ - ١٤٩٦ م) المصلح الأكبر للأزهر في القرن التاسع الهجرى ، فقد أحدث فيه تجديدًا ظاهرًا ، فأنشأ الباب المسمى (باب المزينين) والمنارة التي داخله وفسقية وسبيلًا وصهريجا وميضأة ، وبني على باب الجامع مكتبا ونقش في الحجر على الباب بعد كتابة كوفية صعبة

القراءة «إنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نصر من الله وفتح قريب (البسمة) أمر بإنشاء هذا الباب والمئذنة الشريفة مولانا السلطان الأشرف قايتباي بتاريخ شهر رجب الفرد في ثلاثة من سنة » ولا يزال اسم قايتباي على أحد المحاريب وبعض الشبايك ، ويقال بأن رواق الشوام ورواق الأتراك من إنشائه ، كما جدد رواق المغاربة ونقش على بابه « أمر بتجديده مولانا وسيدنا السلطان الأشرف قايتباي على يد الخواجه مصطفى بن الخواجه محمود غفر الله لهما » ويقول ابن إياس أن هذا السلطان كانت له عادة غريبة ، فقد كان يذهب إلى الأزهر متخفيا في زي مغربي للصلاة ولسماع ما يقوله الناس عنه ، على أن ابن إياس لم يذكر النتيجة التي أفضى إليها هذا العمل .

وفي عام ٩٠٠ أنفق الخواجه مصطفى بن محمود بن رستم خمسة عشر ألف دينار من ماله على عمارة الجامع فجاء في غاية الحسن ، وكتب على بعض خزائن الكتب « بسم الله الرحمن الرحيم ، وقف هذه الخزانة الفقير لله تعالى الخواجه مصطفى بن الخواجه محمود على المجاورين اليمينية بالجامع الأزهر » .

وفي عام ٩٠٤هـ (١٤٩٩م) رتب السلطان أبو سعيد قنصوه الأشرف خال الناصر محمد بن قايتباي الخبز والخزيرة (عصيدة اللحم) في الأزهر في أيام رمضان ، ولما جاء الملك الأشرف قانصوه الغوري ٩٠٦ هـ

ضاعف الإحسان في شهر رمضان وبنى المنارة العظيمة ذات الرأسين داخل باب المزينين .

وأقل نجم الأزهر في العهد العثماني . فقد قضى السلطان سليم على معالم الحضارة الشرقية عامة والمصرية خاصة ، فانتزع من مصر جميع نفائسها وكتبها وأرسلها إلى القسطنطينية . على أن الأزهر نال بعض الاهتمام من الفاتح سليم ، وأظهر له بعض الرعاية وأكثر من زيارته والصلاة فيه وأمر بتلاوة القرآن به وتصدق على فقراء المجاورين ، كما زاره السلطان عبد العزيز خان فيما بعد .

وفي عام ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) حدد الشريف محمد باشا والى مصر في عهد السلطان العثماني محمد الثالث الأزهر ورتب لطلبته الفقراء طعاما يجهز كل يوم ، فكان ذلك حافزا للطلبة على أن يؤموه من جميع البلاد . وفي عام ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) أوقف عليه محمدباي بن مراد حاكم ولاية تونس أوقافا جليلة ، كما حدد الأمير إسماعيل بك القاسمي ابن الأمير إيواظ بك القاسمي المتوفى عام ١٣٣٦ هـ (١٧٢٣ م) سقف الجامع وكان قد آل إلى السقوط .

وفي عام ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) بنى الأمير عثمان كتخدا الفرزوغلي زاوية يصلى فيها العميان وسميت (زاوية العميان) وجدد رواق الأتراك ورحبته ورواق السلمانية (الأفغانيين) .

وفي عام ١١٩٠ هـ أنشأ الأمير عبد الرحمن كتخدا مولى جميع الأمراء المصريين في مقصورة الجامع مقدار النصف طولا وعرضا

يشتمل على خمسين عموداً من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة من الحجر المنحوت ، وسقف أعلاها بالخشب النقي وبنى لها محراباً جديداً ومنبراً ، وأنشأ للجامع باباً عظيماً جهة حارة كتامة وبنى بأعلاه مكتباً بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأطفال من أيتام المسلمين القرآن ، وجعل عليه قبة معقودة وتركيبه رخام بديعة الصنع وأنشأ بها رواق الصعايدة المنقطعين لطلب العلم به مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب وبنى بجانب ذلك الباب منارة ، كما أنشأ باباً آخر جهة مطبخ الجامع وجعل عليه منارة أخرى وجدد بناء المدرسة الطبرسية ، وأنشأ جهة المشهد الحسيني بابين كبيرين ومنارة وأنشأ ساقية وميضأة ، ولما مات دفن بمدفنه الذي أعده لنفسه بالأزهر عند الباب القبلي .



رأينا أن بناء الجامع الأزهر الحالى يختلف اختلافاً كبيراً عن البناء الأول الذى أقامه القائد جوهر الصقلى . فقد توالى عليه التغييرات والزيادات فضاقت معالمه الأصلية تقريباً حتى أصبح كما نراه اليوم مسجداً جامعاً عظيماً . وسنسرده فى هذا الفصل أهم معالم هذا الجامع .



يعد القائد جوهر أول من بنى مقصورة فى الجامع الأزهر وكانت

تمتد من باب الشوام إلى رواق أهل الشرقية وتحتوى على ست وسبعين
 اسطوانة من الرخام الأبيض الجيد مرصوة على صفوف متساوية
 يعلوها قواصير مرتفعة بين كل عامودين قوصرة . وكان المنبر فى هذه
 المقصورة ، فلما أراد الأمير عبد الرحمن كتحدا بناء مقصورة جديدة
 نقل المنبر إلى مكان آخر ، وتتصل مقصورة عبد الرحمن كتحدا بصحن
 الأزهر بثلاثة أبواب كبيرة يعلو الباب الأوسط منها قبة منقوشة مزينة
 ببعض كتابات بالخط الكوفى ، وقد أصيبت تلك القبة بخلل فى زمن
 خديوى مصر العظيم إسماعيل فأمر بترميمها من أوقاف الجامع . وترتفع
 هذه المقصورة عن المقصورة القديمة بنحو ذراعين . يعلو كل منها فتحات
 جلب النور والهواء ، ولهما أبواب تفتح وتقفل عند الحاجة ، وبمقصورة
 عبد الرحمن كتحدا محرابان ، محراب كبير مرتفع يقع على يمين المنبر
 وهو مبنى بالرخام وفوق المحراب والمنبر قبة رفعت على ستة أعمدة ،
 والمحراب الآخر عن شمال المنبر ويعرف بقبة الشيخ الدردير . أما
 المقصورة القديمة ، فتحوى على المحراب القديم المصنوع من الرخام
 الجيد المتقن الصنع وعليه قبة مرتفعة ، وفى أعلاه صندوق موضوع
 على رف يقال إن به قطعة من سفينة نوح عليه السلام وقطعة من جلد
 بقرة بنى إسرائيل . ولكل من هذين المحرابين إمام ومبلغ للصوات
 الخمس ، فإمام المحراب القديم شافعى وإمام محراب الأمير عبد الرحمن
 كتحدا مالكى .

وفى الأزهر كذلك محاريب أخرى ، أحدها لخواجه مصطفى بن

الخوارجا محمود بن جلي . وقد أنشأ الملك الأشرف قايتباي بالأزهر
بعض المحاريب والشبائيك التي مازالت تحمل اسمه .

وللجامع الآن منبر واحد في محراب عبد الرحمن كتبخدا ، أما المنبر
القديم الأصلي الذي أنشئ في بداية تأسيسه ، فقد نقل إلى الجامع
الحاكمي . وللمنبر خطيب واحد في الجمع والأعياد .

وصحن الجامع فسيح مكشوف مغطى بالحجر المنجوت ، وقد
أنشئ تحته أربعة صهاريج للياه ذات أفواه من الرخام المغطى بالخشب
وكان المجاورون يجلسون في الصحن عادة الهطالعة في أيام الشتاء تحت
أشعة الشمس ، وكانوا ينامون فيه صيفا ، ويحلى للصلاة عند ازدحام
المقصورتين .

ودوائر الصحن بواتك مبنية على قواصر قائمة على عمد كثيرة من
الرخام . كان بعضها أروقة وبعضها يتعلم فيه الأطفال القرآن الكريم .
وللأزهر تسعة أبواب ، أشهرها الباب المعروف بباب المزينين ،
وهو شاخ عظيم مرتفع ، نقش على وجهته من الخارج أبيات مموهة
بالذهب مشتملة على تاريخ بنائه عام ١١٦ هـ ، وهي :

إن للعلم أزهراً يتسامى	كسما ما طاولتها سماء
حيث وافاه البناء ولولا	منة الله ما تسامى البناء
رب إن الهدى هداك وآيا	تك نور تهدي به من تشاء
منذ تناهى أرخت باب علوم	وفخار به يجاب الدعاء

وهذا الباب الموجود الآن من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتبخدا ،

وقد مر بنا ذكره ، أما الباب الأصلي فهو خلف هذا الباب الجديد وكان يجلس عنده المزينون لخلق رؤوس المجاورين فعرف الباب باسمهم .
 والباب الثاني يسمى الباب العباسي ، ويقف في صف الباب الأول ،
 بنته وزارة الأوقاف عند بناء الرواق العباسي ، والباب الثالث باب
 المغاربة ، والرابع باب الشوام ، والخامس باب الصعايدة ، وهو من
 إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا أيضا ، أما الباب السادس باب الحرمين ،
 والسابع باب الشورية ، أما الباب الثامن باب الجوهريّة فهو من إنشاء
 جوهر القنقباتي ، والباب التاسع باب الميضأة .

وكان للجامع ست منارات يؤذن عليها في الأوقات الخمس وفي
 الأسحار ، وتوقد في ليالي رمضان والمواسم . المنارة الأولى وكانت
 خارج باب المزينين على يمين الداخل ، وقد أنشأها الأمير عبد الرحمن
 كتخدا ، وقد أزيلت تلك المنارة عند تجديد الرواق العباسي ، وثلاث
 منارات مشرفة على صحن الجامع . أحدها منارة الاقبادية ، وهي أول
 منارة بنيت من الحجر في مصر بعد المنارة المنصورية ، إذ كانت المنائر
 قبل ذلك تبنى بالآجر ، وقد أقام تلك المنارة والمدرسة الأمير علاء الدين
 أقبغا ، وثانية الثلاث أنشأها الملك الأشرف قايتباي مع الباب الذي
 تحتها ، وهي أعلى منارة في الجامع الأزهر وأعظمها ، أما الثالثة فقد
 بناها السلطان قانصوه الغوري . ويتوصل إلى المنارتين الأخيرتين من
 باب صغير في صحن الجامع ، وأنشأ المنارة الخامسة والسادسة بجانب
 باب الصعايدة الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وجميعها من الحجر الاله

المتقن الصنع ، وقد جرت العادة أن لا يؤذن على تلك المنارات إلا العميان
محافظة على عدم كشف عورات المساكن المجاورة لها ، ولكل مأذنة
خولة لإقامة مؤذنها ، وأذان الأزهر تبنى عليه أذان أكثر الجوامع
في القاهرة .



وأهم المدارس الملحقة بالأزهر المدرسة الطبرسية التي أنشأها الأمير
علاء الدين الطبرسي الخازنداري نقيب الجيوش على مساحة قدرها مئة
وسبع وستون متراً مربعاً تقريباً وفرغ من عمارتها عام ٧٠٩ هـ . وقد
بنيت تلك المدرسة على شكل جامع صغير ملحق بالجامع الأزهر ،
ورتب الأمير بهادرسا للفقهاء الشافعية ، وأنشأ بهاميضاً وحوض ماء
لشرب الدواب وفرش أرضها بالرخام الأبيض وزين سقفها بالذهب .
ولما فرغ من بناءها وقدمت إليه كشوف الحساب ، غسلها في وعاء ماء
وقال « شيء خرجنا عنه الله تعالى لا نحاسب عليه » ولما مات دفن
بمدرسة وقبره موجود بها الآن ، ولهذه المدرسة شبائيك من النحاس
تطل على الجامع ، وقد تداولت أيدي نظار السوء على أوقاف الأمير
طبرس التي كان قد أوقفها على المدرسة والأزهر ، فخرّب أكثر أجزاء
المدرسة والجامع ، فجددها الأمير عبد الرحمن كتحدا فيما جدد من عمائر
الأزهر فأصلح ما فيها من الأعمدة الرخام والقبلة العظيمة ، وفي مؤخرة
المدرسة على يمين الداخل ضريح بانها وعليه قبة صغيرة . وكان بالمدرسة

خزانة كتب كبيرة عامرة بدرس العلم ومطالعتة على الدوام وكان يقرأ فيها أحد كبار الشافعية .

وبلى المدرسة الطبرسية في الأهمية المدرسة الاقبادية وتقع بجوار الأزهر على يسار الداخل إليه من بابه الكبير الغربي (باب المزينين) وهي تشرف بشبايك على الجامع . كان موضعها دار الكبير عز الدين أيدير الحلي نائب السلطنة أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، أنشأها الأمير أقبغا ، وكان رقيقا للتاجر عبد الواحد بن بدال ، اشتراه منه الناصر قلاوون وتقلب في مناصب الدولة .

وأنشأ أقبغاجوار المدرسة قبة ومنارة من الحجارة المنحوتة، ولكنها كانت مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد شيء البتة ، وقد اغتصب الأمير أقبغا عبد الواحد أرض هذه المدرسة، بأن أقرض ورثة عز الدين أيدير الحلي مالا وأمهلهم حتى تصرفوا فيه واشتط في طلبه منهم ، فاضطروا تحت قسوته إلى التخلي له عن دراهم فاستولى عليها وأمر بها فهدمت وأقام مكانها مدرسة ، ولم يكتف بذلك، بل بناها بالسخره والعسف والظلم والجور ، حتى الأخشاب والزيت والأحجار رفض أن يدفع لها ثمنها ، فقد كان فظا غليظ القلب ، وقد انضم في آخر أيامه إلى فتنة قام بها الناصر قلاوون ضد أخيه الملك الصالح عماد الدين فقبض عليه الملك الصالح وأعدمه عام ٧٤٤ هـ .

وأنشأ الأمير أقبغا لهذه المدرسة ثلاثة أبواب ، أحدها يوصل إلى صحن الجامع بعد المرور في رواق الفيومية وأقام في وسطها ستة عشر

عمودا ومحرا با جيد الصنع، وأنشأ بهامدنا أنيقا كان معداً لأن يدفن به
ولسكنه دفن بالأسكندرية بعد أن أوقف على المدرسة أوقافا وشرط
ألا يلى النظارة أحد ورثته ، وقد أجرى بها الخديوى إسماعيل عمارة
بعمارة الأزهر وكان يدرس بها كثير من العلوم وكان يجلس بها بعض
المؤدبين لتعليم الأطفال ، وقد ذكر المقرئى أنه كان بجانب المدرسة
الجوهريّة منظره الجامع الأزهر حيث كان الخلفاء الفاطميون يجلسون
أيام الوقود الأربعة .



وكان المجاورون فى القرون الوسطى يقيم بعضهم فى المسجد والبعض
الأخر خارجه ، فالذين كانوا يقيمون داخل المسجد ينقسمون إلى
طوائف لكل طائفة حارة خاصة ورواق خاص ، فالحارة المكان
الذى كان المجاورون يضعون فيه متاعهم وملابسهم وأدواتهم الخاصة .
وكانت تعرف بهم كحارة السلمانية والدكة والممشى والعتيق والذرقانية
وغيرها ، ولكل حارة شيخ يرجع إليه طلبتها فى جميع أمورهم .
أما الرواق فهو المكان الذى كان مقرا لسكنى الطلبة ، وهى غرف
متصلة بأسوار الأزهر على طول هذه الاسوار ، وكانت تفرش بما يلزم
لها من الفراش ويعد بجانبها محلات للغسيل وأخرى للوضوء وغيرها
لإعداد الطعام وكانت تقام فيه الأذكار ويحتمد الجدل والنقاش ، وأول
من جعل لطلاب الأزهر رواقا يسكنون فيه ، هو الخليفة العزيز بالله

ابن المعز لدين الله الفاطمي ، ثم أخذ الملوك والأمراء وأصحاب اليسار
في تشييد الأماكن لسكنى الطلاب من مصريين وغرباء .

وكانت لكل طائفة جهة يقيمون بها وتصرف عليهم الجرايات
والمرتبات ، ولكل طائفة نقيب وشيخ يحكمهم ويدافع عنهم ويخاطب
في مسألتهم أولى الأمر وشيخ العموم . كما أن لكل طائفة منهم أوقافا
وعقارات يصرف عليهم من ريعها ، هذا غير الأوقاف العامة التي كانت
موقوفة على الأزهر كله . ويتبع التقسيم إلى أروقة غالبا التقسيم الجنسي
أو التقسيم المذهبي ، وفي أحوال قليلة يتبع المنشآت الخاصة . والأروقة
هي :

(١) رواق الصعايدة : كان هذا الرواق أشهر أروقة الأزهر
وأغناها وأكثرها أهلا وأوقافا ، فكان به ما يزيد على ألف عالم ومجاور
وقد جرت العادة بأن يأتي مجاورو هذا الرواق من المنطقة التي تقع بحرى
مدينة منية ابن خصيب إلى أسوان ، ومع ذلك فلم يكن يقطن الرواق
إلا عدد قليل من مجاوريه ، إذ كان معظمهم يسكن البيوت والوكالات
بالقاهرة .

وهذا الرواق على يمين الداخل في باب الصعايدة . وكان به
خزانة كبيرة تحتوي على عدد عظيم من الكتب الهامة ، وكان له مخزن
للبس الطلاب ومطبخ . وقد أنشئ تحت هذا الرواق ضريح كبير
أوقف على جميع منافع الأزهر .

أنشأ هذا الرواق الأمير عبد الرحمن كتحدا لصداقته الشديدة
للشيخ على العدوى شيخ الرواق في ذلك الحين ، وأوقف عليه بعض
الأوقاف والرباع ، وحذا حذوه كثير من أهل البر والخير فرتبوا له
الجزايات اليومية والمراتب السنوية على رأسهم السيد عمر مكرم نقيب
الأشراف والحاج محمد باشا سلطان من منية ابن خصيب ، فقد أوقف
عليه مئة وخمسين فدانا من أجود أطيانه بالمنيا . ويوجد بجانب الرواق
مدفن منسئه الأمير عبد الرحمن كتحدا ، وهو جميل الصنع تعلوه قبة
مرتفعة وعليه تركيبة رخام منقوشة بها أسماء العشرة المبشرين بالجنة :
أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ، عمر بن الخطاب العدوى ، عثمان بن
عفان الأموى ، على بن أبي طالب الهاشمي ، طلحة بن الزبير التيمي ،
سعد بن أبي وقاص الزهرى ، سعيد بن زيد العدوى ، عبد الرحمن بن
عوف الزهرى ، عبده بن عامر بن الجراح القهرى ، الزبير بن العوام
الأسدى رضى الله عنهم ، وعليها أيضاً أسماء أهل الكهف .
وكان أكابر رجال الأزهر يتخذون هذا المدفن مجلساً يجتمعون
فيه للمفاوضة والتشاور في المهمات .

وكتب على القبة من الجانب الشرقى أن علياً كرم الله وجهه كان
إذا وصف النبي عليه السلام قال : لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير
المتردد ، وكان ربعة فى القوم ، ولم يكن بالجعد القلط إلى أن قال : وإذا
التفت ، التفت معاً ، بين يديه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين ، وكان صلى
الله عليه وسلم ، أجود الناس صدراً ، إلى أن قال : وأكرمهم عشيرة ،

لم أر قبله ولا بعده مثله ، وعلى الجهة القبيلية من الشعبة الشعر الآتى :
 بروض نعيم فاز كهف مكرم وحاز بفضل الخير جنات رضوان
 هنيئاً له فالحوا الخلد أرخت لقد فاق في الفردوس عبد الرحمن
 وجدد خديو مصر العظيم إسماعيل باشا باب الصعايدة الكبير مع
 مافوقه من المكتب بمباشرة ناظر الأوقاف الأمير أدهم باشا ونقش
 على وجهته من الخارج بالخط المذهب هذه الأبيات :

بالمين أقبل باب سعد الأزهري وسمت محاسنه بأعجب منظر
 وغدا محازا للحقيقة بالهدى موصول مورده جميل المصدر
 باب شريف للنجاح مجرب إنشاء نادى بخير الأعرص
 فى دولة إسماعيل داور عصرنا يمن يسر كمال باب الأزهري
 (٢) رواق الحرمين : وهو داخل باب مقصورة الأمير عبد الرحمن
 كتخدًا . وهو رواق صغير كان يسكنه مجاورو أهل الحجاز ومكة
 والمدينة والطائف ، ولكن أهله كانوا قليلين لا كتفائهم بالمجاورة بالحرمين
 الشريفين .

(٣) رواق الدكارنة الغورية : وهو فى طرف المقصورة الجديدة
 عن شمال الداخل من باب الصعايدة ولم يكن يسكنه كذلك إلا القليل
 من المجاورين .

(٤) رواق الشوام : عن يمين الداخل من باب الشوام ، وبابه
 فى المقصورة القديمة ، ويقال إنه من إنشاء السلطان قايتباى ، ثم زاد فيه

الأمير عثمان كتحدا فصاراً كبير من رواق الصعايدة ، بأعلاه كثير من المساكن الخاصة بالمجاورين ، وقد أوقف عليه الأسيان أوقافا كثيرة . مازالت تجرى على الرواق إلى يومنا هذا . وكان الرواق مسكنا للمجاورين القادمين من بلاد الشام . وكانت به خزانة كبيرة لحفظ الكتب ، وقد أنشئ به بئر خاص للسقاية والوضوء ولكنه استبدل بعد ذلك بصنبور ماء .

(٥) رواق الجاوه : وهو رواق صغير بين رواق السلمانية ورواق الشوام وكان سكانه قليلين .

(٦) رواق السلمانية : ويقع بين رواق الجاوه وباب الشوام ، ويحتوى على خمسة مساكن وكانت به خزانة كتب كبيرة عامرة بكثير من الكتب القيمة .

(٧) رواق المغاربة : فى الجانب الغربى من صحن الجامع ، جده الملك الأشرف قايتباى وكانت قد تهدمت مساكنه وهجره مجاوروه ، وللرواق خمسة عشر بائكة قائمة على أعمدة من الرخام الأبيض . وفيه مساكن علوية وقد أنشئت به خزانة كتب ومطبخ وبئر استبدلت بعد ذلك بصنبور ماء . وقد كتب فى شروط الأوقاف التى تجرى عليه أن لا يستحق مرتباته ولا جراياته إلا من كان مالكي المذهب . وكان يقطن فيه المجاورون من طرابلس وتونس .

(٨) رواق السنارية : على يمين الداخل من باب المغاربة قبل باب الأتراك ، وفى أعلاه كثير من المساكن ، أنشأ هذا الرواق ساكن

الجنان محمد على باشا الكبير والى مصر على ربح اشتراه خصيصا بناء على رجاء شيخه الشيخ محمد على وداعة السنارى ، وبنى فى أسفله حانوتين أوقفهما على الرواق ورتب له ثمانين رغيفا كل يوم .

(٩) رواق الأتراك : على يمين الداخل من باب المزينين وله باب يطل على صحن الأزهر ، والرواق من إنشاء السلطان قايتباى . ثم رحمه وزاد عليه الأمير عثمان كتخدا الفازوغلى وبنى به رحبة مسقوفة ، ويحتوى الرواق على ستة عشر عموداً من الرخام واثني عشر مسكناً علوياً . وكانت به خزانة كتب عظيمة ، عامرة بالثمين من الكتب والمؤلفات والمخطوطات ومطبخ عام وبئر . ثم مدت إليه أنابيب المياه فيما بعد . ويستحق إيراد أوقافه كل مجاور تركى حتى العتقاء منهم ، وكان الرواق نظيفاً معتنى به ، وأهم ما يقص عن هذا الرواق ، أنه فى عام ١٢٩٣ هـ . اعتدى أحد الطلبة على الشيخ راشد شيخ الرواق فى ذلك الحين بسكين تسبب عنها بتر أصابعه ، وذلك لأن الشيخ أمر بقطع الجراية عن الطالب المذكور لسوء سلوكه . وكان الشيخ راشد من ممالك ساكن الجنان محمد على باشا . فقبض على الطالب وكان قد فرهاربا وحكم عليه بالسجن بليمان الاسكندرية بضع سنوات ثم نفي بعد ذلك .

(١٠) رواق البرنية : ويقع هذا الرواق خارج باب الأتراك فى زاوية الرحبة المسقوفة ، وهو مكان أرضى صغير يخیل لمن يراه أنه جزء من رواق الأتراك .

(١١) رواق الجبرية : وهو داخل رواق البرنية ولكنه أوسع

منه ومع قلة أهله فقد ظهر من بينهم علماء فطاحل نوابغ منهم الشيخ الجبرتي الذي استمر شيخاً للرواق مدة طويلة .

(١٢) رواق اليمنية : ويقع بجوار رواق البرنية ، له باب على الرحبة ، وهو مكان أرضي صغير أوقف عليه الخواجا مصطفى بن الخواجا محمود خزانة كتب كبيرة .

(١٣) رواق الأكراد : على يمين الداخل من باب المزينين ، بأعلاه مساكن كثيرة لسكنى المجاورين وهو يجاور المدرسة الطيرسية وتطل المدرسة عليه بشباك صغير .

(١٤) رواق الهنود : وهو على يمين الداخل من باب المزينين ، وقد أنشئ به مسكن أرضي واحد وأربعة مساكن علوية خاصة بالمجاورين الهنود ، أما المسكن الأرضي فكان خاصاً بالمجاورين الفشنية ، وكان هذا الرواق في الماضي يعرف برواق الونائية نسبة إلى أهل وناء من أعمال الفشن .

(١٥) رواق البغدادية : ويقع بأعلى رواق الهنود ، ويشتمل على مسكنين ومطبخ ، وكان مجاوروه قليل العدد .

(١٦) رواق البحيرة : وهو رواق صغير على شمال الداخل من باب المزينين ، وكان بابُه بئسكة من بوائك صحن الجامع فاقطع من البناء جزء منه وحول إلى رواق وشيخه مالكي .

(١٧) رواق الفيومية : في الزاوية الشرقية من الصحن وكان بابُه

كرواق البحيرة بائكة من بوائك الصحن ، وكان يحتوى على خزانة كتب كبيرة وشيخه مالكي كذلك .

(١٨) رواق الأقبغاوية : يقع بالمدرسة الأقبغاوية ، وله رواق على رواق الفيومية .

(١٩) رواق الشنوانية : وكان يعرف كذلك برواق الأجاهرة ، ويقع بجوار رواق الفيومية .

(٢٠) رواق الحنفية : ويقع بجوار رواق الفيومية بين الميضاة الكبرى ومكان ساقية المدرسة الأقبغاوية وبابه يوصل إلى صحن الجامع سرداب طويل كان جزءا من رواق الفشنية ثم اقتطع منها بتعويض ، أنشأ هذا الرواق والى مصر عباس باشا الأول ، إذ اشترى ما كان في مكان الرواق من منازل ثم أزالتها وأقام مكانها رواقا لأهل بلد الشيخ البيجورى ، شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت . ومات عباس باشا قبل أن يتم الرواق ، فقام بإتمامه أبو بكر راتب باشا الكبير من ماله الخاص . وجعله رواقا للجوارين الحنفية المصريين ، وبني به ثلاثة عشر مسكنا لجواريه المتقدمين المكتوبين بدفتره . وأنشأ له خزانة كتب كبيرة ووهبها كثيرا من الكتب والمؤلفات كما أوقف عليه أوقافا غنية وجعل النظر عليها لمفتى الحنفية بمصر .

وفى عام ١٣١٧ تولى النظارة الشيخ الإمام محمد عبده فزاد فى مرتبات أهله ، وكان للرواق باب ينفذ إلى الميضاة فأغلق بعد أن استغنى عن الميضاة بصنبور ماء . وقد أنشأ راتب باشا للرواق مجرى لجلب المياه من مصانع الجامع إلى ميضاته .

- (٢١) رواق الفشنية : وهو بين رواق الحنفية وباب الميضأة وبابه يطل على الصحن وبه أربعة أعمدة من البوائك غير العمدة الداخلية . وقد أوقف عليه سلطان باشا كثيرا من الأراضي بالمنيا .
- (٢٢) رواق ابن معمر : ويقع على يمين الداخل إلى الميضأة وبعضه من بوائك الصحن وعمده ثمانية وهو رواق مشهور بكثرة من كان ينتمى إليه من المجاورين المختلفي الجنسية فهو لا يخص مجاوري منطقة معينة بخلاف غيره .
- (٢٣) رواق البرابرة : ويقع عن شمال الداخل من باب المقصورة الشرقى وكان يسكنه مجاورو البربر .
- (٢٤) رواق دكرنة صليح : بجوار رواق الشرقاوية .
- (٢٥) رواق الشرقاوية : يقع في النهاية البحرية من المقصورة القديمة ، أنشأه إبراهيم بك أحد البكوات المماليك . والسبب في بنائه أن الشيخ الشرقاوى شيخ الرواق فيما بعد ، كان يسكن ومعه مجاوروه المدرسة الطيرسية ، وكان لهم مخزن برواق معمر فنشب خلاف شديد بين مجاوري الشرقاوية ومجاوري رواق معمر ، انتهى بأن ضرب مجاورو الشرقاوية شيخ رواق معمر ضربا مبرحا ، فمنعهم من الإقامة بالمدرسة الطيرسية ، فاتصل الشيخ الشرقاوى بامرأة فقيهة عمياء كانت ترتل القرآن في قصر عديلة هانم ابنة إبراهيم بك . وقامت المقرئة بدور الوسيط لدى الوالى وابنته وأقنعتهما بضرورة بناء رواق خاص بأهل مديزية الشرقية بالأزهر ، فوافق إبراهيم بك واغتصب

بعض الأراضي الفضاء التي كانت أمام الجامع وأقام عليها الرواق الذي نقلت إليه أحجار البناء وعمده الرخام من جامع السلطان ييبرس البندقارى .

(٢٦) رواق الخنابلة : ويقع بجوار زاوية العميان ، أنشأه الأمير كستخدا منشىء الزاوية نفسها على جزء صغير من الزاوية ، وهو يحتوى على بعض المساكن العلوية ، وقد جدد تلك المساكن فيما بعد راتب باشا الكبير ، وأجرى على شيخ الرواق وتلاميذه مرتبات كبيرة وجراية قدرها مئة وعشرون رغيفا كل يوم .

(٢٧) الرواق العباسى : أنشأه الخديو عباس حلى الثانى عام ١٣١٥هـ فى مشيخة الشيخ حسونة النواوى للأزهر وأنفقت عليه الأوقاف ستة آلاف وثمانين جنيها . ويقع هذا الرواق فى الحدود الغربية للجامع مطلا على الشارع ، وهو يشتمل على أماكن متعددة ، وكان يجمع الكثير من أهالى الأروقة ، وأنشأ فيه زاوية كبيرة بمحراب جميل الصنع دقيق التركيب ، وأنشأ به محلا لطبيب الجامع وصيدلية ومحلا لمكتبة الجامع .

* * *

وأقيم بالجامع سبع مزاويل ، أربع منها فى صحنہ لمعرفة وقت الظهر على يمين باب المزينين وثلاث لمعرفة وقت العصر . ولا يوجد الآن من هذه المزاويل إلا مزولة واحدة عملها بنفسه الوزير أحمد باشا كورالذى

كان واليا على مصر عام ١١٦١ هـ . وكان هذا الوزير من أرباب الفضل
ذو ولع شديد بالعلوم الرياضية ، وكتب على تلك المزولة الآيات
الآتية :

مزولة متقنة نظيرها لا يوجد

راسمها حاسبها هذا الوزير الأجد

تاريخها أتقنها هذا الوزير أحمد

وقد نصبت تلك المزولة على يسار الداخل فوق رواق معمر .

* * *

وكان للأزهر ثلاث ميضآت . الأولى هي الميضأة الكبرى وكانت
على شمال الداخل من باب المزينين ويطل بابها على صحن الجامع في
وسطه بين رواق معمر ورواق الفشنية ، وهي متسعة يبلغ طولها نحو
عشرة أمتار وعرضها خمسة ، أنشئت في وسطها فوارة كبيرة لمد الميضأة
بالماء . وأقيم على الميضأة سقف من الخشب المتين القائم على ثمانية
عمد ، وأحيط بالميضأة من ثلاث جهات بأربعة وثلاثين مرحاضا ذات
أبواب خشبية وكان الماء في الماضي يصل إلى تلك الميضأة من المصنع
الكبير الذي بجوار الساقية . وكان للميضأة مجرى لتصريف الفضلات
يجرى تحت حى الحسينية كما كان لها خدم لغسلها وتنظيفها .

والميضأة الثانية هي ميضأة زاوية العميان ، وكانت متوسطة الحجم
والثالثة ميضأة المدرسة الطيرسية ، قام بإنشائها الأمير عبد الرحمن

كتخدا عن يمين الداخل من باب المزينين ، وقد أهمل استعمالها ، بل اندثرت معالمها وضمت من زمن بعيد إلى المكتبة الأزهرية .
 وأنشئت في الصحن أربعة صهاريج أفواها من الرخام كأفواه الآبار ، ولها أغطية من الخشب وأقفال من الحديد . وكانت تلك الآبار تملأ كل سنة ، وأنشأ الأمير عبد الرحمن كتخدا صهريجا كبيرا تحت رواق الصعايدة ، كما أنشأ السلطان قايتباي صهريجا آخر تجاه باب الدكارنة تابعاً للجامع .

وكان بكل بائكة بالجامع قنديل ، وهذه القناديل كانت تنار جميعاً وتزاد إلى الضعف في شهر رمضان ، وتعلق في أوتار من الخشب مثبتة تحت قواعد البوائك ، وكانت توقد من ريع أوقاف الجامع .
 وأول من أوقف تلك القناديل على الجامع الأزهر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وكان لهذه القناديل مكان خاص تحفظ فيه لوقت الحاجة حتى لا تمتد إليها يد السرقة .

وقد فرش الجامع من قديم الزمن بالحصير ، يشتري من ريع أوقاف الجامع ، ويفرش كل عام ثم صار يفرش كل ستة شهور ، ولم يفرش بالسجاجيد إلا منذ زمن غير بعيد .

تقاليد الأزهر

إمتاز الأزهر منذ إنشائه ببعض التقاليد الخاصة التي بقيت تلازمه على مر العصور وما زال بعضها باقيا إلى يومنا هذا .

كان الطلبة يسمون (المجاورين) لأنهم كانوا يسكنون بجوار الأزهر ويسمون طلابا بوصفهم ممن يطلبون العلم ، أما أعضاء هيئة التدريس فكانوا يسمون بالمدرسين أو الأساتذة ، ولكنهم كانوا يسمون أنفسهم « خدمة العلم » تواضعا .

وكان بعض العلماء يكثرون الصمت ويقللون الكلام بقوله عليه الصلاة والسلام « من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع » .

كما نجدهم يتحاشون لبس الحلي والجواهر لأن النبي نزع من أصبعه خاتم الذهب أثناء خطبة له . ويمتنعون عن تدخين لفائف التبغ ، بل يستعملونه سعوطا ، لأن تدخينه يعتبر حادثا ، وهم يجتهدون في الابتعاد عن المحدثات لقول ابن مسعود « ألا إياكم ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثها » .

ولم يكن يأتي إلى الأزهر من الطلاب في الأزمان القديمة إلا كل من قارب البلوغ ، ويبتدىء الطالب بمجرد وصوله إلى الأزهر بحفظ القرآن . ولكن غالبية الصعادية لم يكونوا يهتمون بحفظه ، بعكس مجاوري الوجه البحرى ، فإنهم كانوا يبذلون مجهوداً كبيراً فى استيعابه ليستعينوا به على الكسب .

وكان لطلبة الأزهر نظام خاص بحضورهم وغيابهم . فكان للجامع دفتر يقيد فيه أسماء المنتسبين إليه من الطلبة والمدرسين وبيان التابعين لكل رواق من أرباب الجرايات ، والأزهر قديماً لم يكن يسمح بالغياب بدون إذن أو الانقطاع عن حضور حلقات الدرس ويعاقب المخالف بقطع جرائته عنه . بل كان يمنع الطالب من الاشتغال بحرف خارجية . ومع هذا فقد كان الأزهر يعوزه النظام الدقيق ، فقد تمكنت بين الأزهريين عادة الغياب كما يشاءون ، وكتب ضمن مجاوري الأزهر من لم يعرف بابه منذ سنين ، كما كان بينهم الكثيرون من أرباب الحرف والصنائع لا يقرأون ولا يكتبون ويتناولون فى الوقت نفسه مرتباتهم مع النقباء والرقباء .

واعتماد الطلبة أن يجهزوا دروسهم قبل حضورهم على شيخهم جماعة أو أفراداً ، وأحياناً يقوم أعلم الطلبة بمطالعة الدرس لإخوانه حتى إذا حضروا إلى أستاذهم كانوا على بينة ومعرفة بما سيلقى عليهم ، وكانوا فى بعض الأحيان يشتركون فى شراء الكتب الغالية الثمن ويطلعونها معاً . وكان من عاداتهم أيضاً عند ختم الكتاب أن يأتوا حلقة الدرس

بالمباخر والقماقم الملائنة بالطيب والعطريات وبعضهم يأتي ببعض الفواكه
والجافة . وبعض الختم يرتل بعض الحاضرين شيئا من القرآن ثم يرش
عليهم ماء الورد وتثر عليهم الفواكه من اللوز والتمر ، ثم يقبلون
يد شيخهم .

ومن تقاليدهم كذلك عدم الاطلاع على مذهب غيرهم (فالشافعي
لا يعنى بمعرفة قواعد المذهب المالكي مثلا) .

وكان المجاورون الصعايدة يحملون معهم من بلادهم مؤونة طعام
تكفيهم نصف عام أو أكثر ، من خبز وسمين وجبن وكشك وعدس
وبعض النقود ، كل على حسب مقدرته المالية . ومعظمهم لم يكن
يقطن الأزهر ، بل يسكن الوكالات والتكايا مع تقييد أسمائهم في دفتر
رواقهم ليكون لهم حق الاستيلاء على الجراية . أما من كان يسكن
الأزهر منهم فهو الفقير المعدم . ونادرا ما كان الصعايدة يتركون القاهرة
للسفر إلى بلادهم خلال الأجازات المدرسية لبعدهم عن العاصمة ،
بل ينتظرون حلول عطلتهم الدراسية السنوية التي كانت تبتدىء من رجب
إلى شوال ، وقد يتزوجون أثناء هذه الفترة ويتركون زوجاتهم في
بلادهم . ومن الصعايدة من لم يكن يبرح القاهرة طيلة حياته الدراسية
حتى ينال إجازة الأزهر .

أما أهل الوجه البحرى فكانوا كثيرى الزيارة لبلادهم لقربها من
القاهرة خصوصا فى العطلات الرسمية كالعيدين ومولد السيد البدوى

والمولد النبوى ويوم عاشوراء ومولد سيدنا الحسين ومهرجان المحمل
ومهرجان قطع الخليج . فكانوا يحضرون من بلادهم حاملين القليل من
الزاد الذى يتجدد كل شهر . ومعظمهم كان يسكن الأزهر لقلة متاعهم
وشدة فقرهم ، فكانوا ينشرون خبزهم فى صحن الجامع ليجف ويبلونه
بقليل من ماء الصهاريج عند الطعام ليسهل مضغه .

ومعظم المجاورين من أهل مصر لم يكن لهم مورد رزق ولا طرق
كسب ، فقليل منهم كان ينفق ما يرسل إليه من مال من أقربائه ، والباقي
سواء أكانوا طلبة أو مدرسين ، كان جل اعتمادهم على ما يصيبهم من
إيرادات أوقاف الجامع أو هبات أهل اليسار والخير ، فإذا قل إيراد
الأوقاف والصدقات فى سنة من السنين ، بحيث أصبح لا يكفى الطلاب
اضطروا إلى البحث عن مورد آخر للعيش . فكانوا يؤدون بعض
الخدمات الصغيرة فى المنازل والأسواق أو يرتلون القرآن أو يلقنون
الناشئة العلم أو ينسخون الكتب والمخطوطات .

وكان المجاورون يقومون بخدمة أنفسهم بأنفسهم ، فيغسلون ثيابهم
ويطهون طعامهم ، وأكثر الفريقين الصعدي منهم والبحيرى يلبس
الزعابيب والدقافى الصوف ، بعضها مصبوغ بالنيلة وبعضها غير مصبوغ
وهم يختلفون فى الزى تبعاً لاختلاف بلادهم وثروتهم . وكانوا يستعملون
الفرأوى فى الجلوس عليها أثناء الدرس أو النوم فى الأروقة أو الجلوس
عليها فى الشتاء فى شمس صحن الجامع . والمجاورون مثل فى القصد

والاعتدال في مسكنهم وملبسهم وغذائهم . على أنهم لم يكونوا على علم
كاف بالقواعد الصحية .

أما أهل الأقطار الخارجية ، أي المجاورون الغرباء فكانوا أحسن
حالا وأنظف ثيابا وأبدانا ، لما كان لهم من المرتبات الحسنة والمال الكافي .
ومعظمهم كان يسكن الأزهر مع النظافة في الفرش والسكفاية . والفقير
منهم كان يتقرب إلى الأمراء والأغنياء ليصيب منهم ما يكفيه للاستمرار
في الدراسة .

وكان من تقاليد الشوام عند انتهاءهم من الدراسة ، ويحين موعد
سفرهم إلى بلادهم أن يدعوا زملاءهم وأصدقاءهم من الطلبة والأساتذة
ويوقدون لهم رواقهم بالشموع ويفرشونهم بما يتيسر لهم من الفرش .
وعند ما يتم جمعهم يطاف عليهم بالشربات والقهوة ، ثم يقوم بعض
الحاضرين بإنشاد بعض قصائد المديح والتوديع لصاحب الحفل .

ولم يكن المجاور يستطيع السفر إلا بعد أن ينال إجازة من شيخه
متوجة باسمه ، تشهد للطالب بأنه أهل للتدريس والإفتاء . ويوصيه
الشيخ قبل سفره بالتقوى والتحرى عن الأحكام والعدل فيها .

وكان المدرسون في أول الأمر يلبسون الملابس الخشنة ، فيلبس
الشيخ زعبوط الصوف غير المصبوغ بغير غلالة وعلى رأسه عمامة
تسمى المقلة تشبه عمامم الأضرحة ، ومع ذلك فقد كانوا موضع احترام
وإعزاز من الأمراء والأعيان والطلبة ، وكان لهم نفوذ كبير لما كانوا
عليه من التقوى والورع . وتغير الحال بعد ذلك ، فأصبح الشيوخ يلبسون

الأقيية المفرجة المسماة بالفرجيات ، وهي أردية ذات كمين واسعين تصنع من الجوخ وغيره . ويتمشون بالقفاطين والطنافس الفاخرة والسموزيات والبوايج الصفر التي كانت تلبس في بعض المناسبات كالعيدين والمولد ومقابلة الوالى .

وكان أغلب الطلبة يرتدون العمامة البيضاء ، أما السادة الأشراف منهم فقد صدر لهم عام ٧٧٣ هـ في عصر الأشرف شعبان بن الناصر قلاوون سلطان مصر إقرار رسمى بالسماح لهم بلبس العمامة الخضراء . فكان الطلبة يتبعون في أغلب الأحيان مذاهب آباءهم حينما كانت مشيخة الأزهر متبادلة بين الشافعية والمالكية ، ثم حدث أن انحصرت الفتوى في مذهب أبى حنيفة ، فاضطر معظم الطلاب إلى اعتناق المذهب الحنفى لاعتمادهم بعد تخرجهم من الأزهر في معيشتهم على الإفتاء . وكان المدرسون والطلبة معفين من الانخراط في سلك الجيش .

ولم يكن نظام الامتحان الحالى معروفا بالأزهر في أيامه الأولى . ولم يكن الأستاذ يهتم بحضور الطلبة حلقة الدرس أو تخلفهم عنها . إنما كان يتركهم أحراراً . وحسب حضورهم تأتى درجاتهم . وكان الغالب على أولاد العلماء المشهورين عدم النجاح لتكاسلهم واعتمادهم على شهرة آبائهم .

وكانت الدراسة الأسبوعية تنتهى يوم الخميس بعد انتهاء دروس الفقه ، ثم تبدى بعد غروب شمس يوم الجمعة . فكان المجاورون يخرجون في يوم الخميس إلى حى بولاق أو غيره للفسحة ولعب الكرة وغسل الثياب .

وإذامات مجاور ، اجتمع في المسجد بعد دفنه ، أصحابه وأهل بلده فيعملون له بعد المغرب عتاقة (لا إله إلا الله) فيوقدون شموعاً صغيرة يلصقونها بالحصر فيحضر جميع المجاورين ويستمر اجتماعهم إلى العشاء .

أما إذامات أحد العلماء أو الشيوخ ، فيعلن الحزن بالأزهر ثلاثة أيام متوالية ، ويصدر شيخ العموم أمره بعدم عقد أى درس بالجامع في مدة الثلاثة أيام . ويصعد المؤذنون على المنائر ويقرأون بأصوات مرتفعة صورة الأبرار وهي قوله تعالى (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً) وما يليها من الآيات . ويتكرر ذلك على معظم منائر المساجد . فيسمعهم الناس فيهرعون لحضور الجنازة ، ثم يشيع المتوفى إلى الأزهر ويسير أمامه المنشدون يقرأون البردة بأصوات مرتفعة ، ويلهم كثير من العلماء والشيوخ ، وربما حضر بعض الأمراء والأعيان ، فإن كان من أرباب الشهرة والمناصب ، بعث الوالى بعض الجند تكريماً للشيخ المتوفى ومحافضة على النظام ، وعند ما يدخلون من باب المزينين ، يؤذن المؤذنون لثاني مرة سورة الأبرار ، فإذا ما أنزل من فوق الأعتاق ، وضع على دكة المبلغين وقام أحد المشيعين بالقاء مرثية للفقيد . ثم يصلى عليه شيخ الجامع . وجرت العادة أن لا يغطى نعش العالم . وبعد أن يوارى التراب ، يحتفل له ثلاث ليال على العمود الذى كان يدرس عنده حيث يجتمع كثير من العلماء والمجاورين فيعملون له عتاقة (لا إله إلا الله) أو الصمدية ، ويستمر ذلك من الغروب حتى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل . ثم فى كل أسبوع من أربعة أسابيع

بعد صلاة الجمعة ، يجتمعون في حلقة عند عموده ، ويفرق عليهم ربعات القرآن ، فيقرأ كل واحد جزءاً أو يجلس بعض القراء والمنشدين وسط الحلقة فيقرأ بعضهم آيات من القرآن ترتيلاً ، ثم يختمون المجلس بقراءة آخر البقرة والآيات المعتادة في الختم مع أسماء الله الحسنى وآخر البردة كل ذلك بجمع عظيم ، ثم تقرأ مرثية أخرى .

وكان الأزهر من قديم الزمن مسرحاً لكثير من المشاحنات والفتن التي كانت تنشأ بين المجاورين لأسباب جنسية أو مذهبية ، أو بسبب جشع القائمين بإدارة الأزهر ، الذين كانوا يخصون أنفسهم بمعظم الجراية والهبات والصدقات ، تاركين الطلبة يتضورون جوعاً ، وكان أكثر المجاورين قياماً بتلك الفتن الصعابذة وصخابو الشام والمكفوفون ساكني رواق العميان .



ومنذ أن أنشئ الأزهر تكونت له على مر السنين والقرون حرمة كبيرة وقداسة عظيمة ، فقد كان ملجأً للاجئين وملاذ الخائفين الذين يحتمون ، ببناؤه من حاكم مستبد أو وال قاسي ، خلال القرون الوسطى وما بعدها . بل ذهب للاعتقاد بشدة قداسته أن كثيراً ما كانت تتلى فيه أجزاء من القرآن أو البخارى دفعاً للأوبئة والقحط والمجاعات . وقد صلى فيه سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني على إثر

المجاعة التي شملت وادي النيل عام ٧٩٨ هـ (١٣٩٥ - ١٣٩٦ م) ، وأكلت الأخضر واليابس وقضت على عدد كبير من المصريين ، فقد صلى في الجامع الأزهر متضرعاً إلى الله تعالى أن يخفف من خطر ما أصابها راجياً إليه أن يزيح عن أهلها ما ألم بهم من النازلات .

وفي عام ١١٧٢ هـ (١٥٧٨ - ١٧٥٩ م) أصاب مصر وباء شديد الفتك هو الطاعون ، فطلب المجاورون من شيخهم أن يقرأ لهم درساً في البخارى عسى الله أن ينقذ الناس من شر هذا المرض .

وذكر المؤرخون أن أتباع محمد بك الألفى - أحد أمراء مصر المماليك - ظلموا أهل بلبيس فجاءوا صارخين ملتجئين إلى الأزهر ، فقام شيخه وعلمائه واتجهوا إلى قصر إبراهيم بك حاكم مصر في ذلك الوقت ، وطلبوا إليه أن يرفع المظالم ، فأمر بأن يكف الأمراء وأتباعهم عن اغتصاب أموال الناس ، وأن يسيروا فيهم سيرة حسنة ، وكتب القاضي حجة بذلك .

وذكر ابن إياس أن ابن الفارض الصوفي كان مقيماً بالأزهر تبركاً به .

وحدث عام ١٢٢٠ هـ أن هاجم بعض الجنود الدلامية (نوع من الجنود الأتراك) بعض قرى الريف المصرى ونهبوا الفلاحين والمارة واعتدوا على النساء ، فأسرع الناس لاجئين إلى الجامع الأزهر ، فاتصل شيخ الجامع بأولى الشان الذين أمروا بدورهم جنودهم بالكف عن

الاعتداء على الناس وترك الدور لأهلها ، وإرجاع المنهوبات فرد بعضها .
وليست قدسية الأزهر قاصرة على نفوس المصريين فقط ، بل
كان ولا يزال لهذا الجامع مقام عظيم لا يدانيه مقام في نفوس أهل
الشرق والعالم الإسلامي ، فهو موضع تسجيل وإعزاز واحترام الجميع .

جامعة الأزهر

مرت بمصر فترات وصل العلم فيها إلى أوج عظمته ، ولكن هذا العلم لم يكن يلقي بالطريقة التي نعرفها اليوم ، باجتماع الأستاذ بتلاميذه في حجرة الدرس ، بل كان متبعاً ما عرفناه في الأزهر من نظام هو نظام الحلقات ومجالس الدروس . فقد كان هذا النظم معروفاً في مصر منذ القرن الثاني للهجرة ، وكان جامع عمرو هو المكان المختار لإلقاء مثل هذه الدروس ، فقد كان مركزاً اتخذه الصحابة والتابعون لنشر الدين والعلم .

وأخذت الحركة العلمية في هذا المسجد تنمو وتتسع حتى أمه الكثير من العلماء والأعلام الذين تركوا ثروة جليلة من الكتب والتأليف ، كما كان لتلك الحلقات فضل إخراج عدد كبير من الفقهاء والمحدثين حتى أوائل القرن الرابع الهجري ، وأشهر هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن وهب وسعيد بن الصلت ويحيى بن أزهر وسعيد بن عبد الرحمن .

ولم تكن تلك الدراسة في أول أمرها لإدراسة دينية فقيهة قامت

في الزوايا التي أنشئت على ممر السنين بالجامع العتيق . وأشهر تلك الزوايا ، زاوية الإمام الشافعي التي كان الناس يهرعون إليها لسماع شروح الإمام وعظاته ، والتي تخرج فيها عدة من أعظم الفقهاء والعلماء في ذلك العهد . ثم بنى محمد الدين أبي المحاسن الأزدي البهنسي الشافعي وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أيوب ، زاوية سميت الزاوية المحمدية ورتب في تدريسها قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي وأوقف عليها عدة أوقاف بمصر والقاهرة ، ثم الزاوية الصاحبية التي أنشأها صاحب التاج محمد بن نجر الدين ، وجعل لها مدرسين أحدهما مالكي والآخر شافعي وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة ، ثم حدا حذوه كثير من الأمراء وذوى اليسار المهتمين بالعلم ، فما وافى عام ٧٤٩ هـ حتى أربت حلقات جامع عمرو على الأربعين حلقة .

ولم تكن هذه الحلقات كلها من نوع واحد ، بل كانت إما خاصة أو جامعة ، فالعام منها ما كان يقام يومياً بجامع عمرو خصوصاً في يوم الجمعة الذي كانت حلقاته تفوق حلقات بقية الأيام أهمية . إذ كان يوم الجمعة هذا يعد موسماً علياً هاما . حيث يهرع الناس لسماع أكبر عدد من الفقهاء والشعراء والأدباء وهم يتناقشون ويتباحثون في الفقه واللغة ويتطارحون الشعر ويروون الأخبار .

أما الحلقات الخاصة فهي التي كانت تعقد في منازل أكابر العلماء والفقهاء حيث كانوا يجتمعون بتلاميذهم وأصدقائهم يقرأون عليهم بعض شروح الفقه الإسلامي وبعض كتب العبادات ويروون بعض

الأشعار . وقد تألفت بعض تلك الحلقات ، اشتهر منها حلقة بيت عبد الله بن الحكم الفقيه المالكي وولديه عبد الرحمن ومحمد وكانوا من أنبغ الفقهاء المحدثين حتى أوائل القرن الثالث . وكانت حلقاتهم موضع التقاء أكابر العلماء والأدباء المعاصرين الذين كانوا يفتدون على مصر من مختلف الأقطار . فما أن وفد الإمام الشافعي إلى مصر حتى وجد من تلك الأسرة كل عناية ورعاية وإكرام . فلما أقام حلقاته في جامع عمرو ، كانوا هم أول من شجعه وحضر درسه .

وظل التدريس في جامع عمرو على هذا المنوال عامر الحلقات وموضعا لنشر العلم والتعليم مدة طويلة ، واقتنى أثره كثير من الجوامع الشهيرة كجامع أحمد بن طولون ، فلم يأت القرن الرابع حتى كان العلم في جامع عمرو قد وصل إلى مرحلة مثلى بفضل من كان يؤمه من أقطاب الفقه واللغة أشهرهم أبو القاسم بن قديد وتلميذه السكندی الذي ترك كتابا عظيما في تاريخ ولاية مصر ومن تولى قضاءها . وأبو القاسم بن طباطبا الحسنى الشاعر .

فلما أن كان عصر الأمير محمد بن طنج الأخشيدى ، أصبحت مجالس الدراسة والحلقات الأدبية الخاصة من تقاليد الحياة الرفيعة ، وقد لقيت العلوم والآداب بفضل هذا الأمير وولده آ نوجور ووزيره الخصى كفور وكثير من أمراء الدولة كل حماية ورعاية . وكانت حلقة الشاعر أبي الطيب المتنبي الذي وفد على مصر عام ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) على إثر

جفوة بينه وبين سيف الدولة ، من أهم مجالس الشعر والأدب والفلسفة في هذا العصر .

فنظام الحلقات الذي كان متبعاً في تلك الحقبة من الزمن كان النظام الوحيد للدراسة الممتازة وكان أساس الحياة العلمية والفكرية في مصر . فلما أن تحول الجامع الأزهر إلى جامعة ، اتخذت الدراسة فيه نظام الحلقات الموجود في ذلك الوقت ، إذ لم يكن قد استعيض عنه بنظام آخر . وباتتقال هذا النظام إلى الأزهر انتقلت معه دراسة العلوم بمختلف أنواعها فازدهرت فيه وترعرعت .

واستمر الأزهر كذلك إلى نهاية القرن السادس حينما ابتداء ملوك مصر وسلاطينها في إنشاء المدارس . فأنشأ صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٦ هـ المدرسة الناصرية بجوار جامع عمرو لتدريس الفقه الشافعي ، كما أنشأ بجانبها المدرسة القمحية لتدريس الفقه المالكي ، وكان من أشهر من درسوا فيها العالم المؤرخ ابن خلدون ، وحذا حذو صلاح الدين كثير من أمراء البلاد وأعيانها فأنشأوا كثيراً من مدارس التخصص ، بعضها شافعي والبعض الآخر حنفي أو حنبلي أو لتدريس الفقه والحديث .

وتعد المدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤١ هـ ، أول مدرسة درس فيها الفقه على المذاهب الأربعة . ولقد عانى الأزهر منافسة شديدة من جراء وجود أمثال تلك المدارس التي كانت مكتظة بالطلاب ، مستأثرة بأعظم وأحسن الأساتذة

والعلماء ، متمتعة بعناية الأمراء وذوى اليسار وثقتهم . فوهبوا المال والهدايا ، وأجروا عليها الأوقاف والرباع . فكان التدريس بتلك المدارس من الأمانى التى يصبوا إليها كل أستاذ وعالم . فكانت موضع منافستهم الدائمة .

وما وافت نهاية القرن الثامن الهجرى حتى كان الانتاج العلمى فى أزهى عصوره . وكثر عدد المدارس ومعاهد العلم التى كانت تقوم برسالتها بأمانة وإخلاص بجانب الأزهر الذى لم يكن يستطيع مطاوتها فى المرتبة ، فقد كان نصيبه من الأساتذة والعلماء لا يزال ضئيلا وكانت المدارس قد استأثرت بهم أو بأحسنهم عملا وفضلا . وخلا الأزهر فى تلك الحقبة من أعظم العلماء المعاصرين أمثال سراج الدين البلقينى والمقرزى وجلال الدين السيوطى الذين كانوا يقومون بالتدريس فى تلك المدارس . على أن الأزهر فى ذلك الزمن لم يفقد ماله من عظيم الهية والمكانة ، بل كان لا يزال يحتفظ بمكانته العظيمة فى النفوس ، لما كان يلقاه فيه الطلاب من الراحة واتساع الحلقات .

ثم أخذت الحركة الفكرية تضمحل شيئا فشيئا ، فما وفى القرن العاشر حتى كانت المدارس قد تفككت وانحلت بانحلال دولة السلاطين فلم تجد من يرعاها بماله وهباته . فقلت مواردنا فهجرها مدرسوها وطلابها .

وما زاد الحال سوءا ضياع استقلال مصر ووقوعها تحت الحكم العثمانى . فقد قضى سليم شاه على ما بقى فى مصر من حضارة وعلم وفن .

وانتزع منها تحفها وآثارها وكتبها النفيسة ، وسلبها عمالها وعلماءها .
فتلاشت طبقتهم وانحط العلم والتعليم .
ولم يكن نصيب الأزهر من ذلك بأقل من غيره ، فدبت فيه عوارض
الانحلال والاضمحلال ، وأهملت فيه دراسة كثير من العلوم . وإن
كانت اللغة العربية قد وجدت فيه ملجأً تروح إليه وتستكن فيه إلى أن
قيض الله لها الظهور والانتعاش بعد انقشاع الحكم العثماني عن مصر وإن
رزحت فيه أمداً طويلاً .



ولنبين بوضوح طريقة التدريس في الحلقات التي كانت متبعة في
الجامع الأزهر نقول إنه كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمود
معين من عمد الجامع لا يتعدى عليه أحد وإلا نشب عراك شديد .
وكان شيخ المذهب هو المنوط بالدفاع عن العمود ، فإذا تفاقم الخلاف
رفع الأمر إلى شيخ الجامع الذي كان الفيصل في كل خلاف . وكان
من عادة شيخ المذهب أثناء إلقاء الدرس أن يجلس على الأرض بجانب
العمود مستقبلاً القبلة ، ثم استعاض المشايخ عن ذلك بالجلوس على
كراسي من خشب أو جريد بعد أن كانت تلك الكراسي من أخص
امتيازات شيخ العموم .

وكان الطلبة يجلسون حول أستاذهم على هيئة حلقة . ولكل طالب
في الحلقة مكان لا يتعداه ، وكانت طريقة التعليم إذذاك هي الطريقة

الإيمائية ، يبتدىء الشيخ الدرس بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي ، ثم يأخذ في إملاء الدرس على تلاميذه . وأثناء ذلك يقوم الطلبة بسؤال أستاذهم فيما غمض عليهم . فقد كان عماد الدراسة إذ ذاك المناقشة والحوار بين الطلبة وأستاذهم مما يثقف العقل وينمي ملكة الفهم ، فإذا انتهى الدرس قبل الطلبة يد شيخهم .

ولم يكن للأزهر نظام امتحانات في عهده البدائي . بل كانت الإجازة التي يعطيها الشيخ لتلميذه ، ولها قيمة عظيمة منذ الأزمان القديمة ، تدل على أن الطالب قد فهم نصاً معيناً ، وتجعله أهلاً للتدريس . وكان الطالب يتلقى العلم زمناً طويلاً ، فإذا أنس في نفسه القدرة على التصدر للعلم ، أعلن ذلك بين زملائه وشيوخه . فتعقد في إيوان الأزهر حلقة من العلماء النابهين ، يجلس الطالب في صدرها ويناقش نقاشاً حاداً في المادة التي يدرسها وفي جميع المواد التي تجرّها المناسبات ، فإذا أثبت الطالب كفاءة ممتازة أعطى حق التدريس .

وكانت المواد الأساسية التي تدرس إحدى عشرة مادة كلها علوم دينية وعربية ، يزيد عليها علم المنطق لمن يمتحن من طلاب العالمية . ونورد هنا مثلاً لتلك الإجازات التي كانت تمنح لطلاب الأزهر . فقد جاء في سند إجازة الشيخ أحمد عبد المنعم الدمهورى المتوفى عام ١١٩٢ هـ ما يخصه : إنه تلقى في الأزهر العلوم الآتية : وله تأليف في كثير منها وهي الحساب والميقات والجبر والمقابلة والمنحرفات وأسباب الأمراض وعلاماتها ، وعلم الاسطرلاب والزيج والهندسة والهئية وعلم الابطاطيقى

وعلم المزاويل وعلم الأعمال الرصدية وعلم المواليد الثلاثة وهى الحيوان
والنبات والمعادن ، وعلم استنباط المياه وعلاج البواسير وعلم التشريح
وعلاج لسع العقرب وتاريخ العرب والعجم .

ومن مآثور ذلك الزمن عن علماء الأزهر ، أن العلم مقصود لذاته
وأن طالبه يجب أن يتجرد عن ملامهى الدنيا ولا يتطلع لحطامها ، وهو
قول كان له قديما أحسن الأثر فى نفوس الأزهريين الذين أحبوا العلم
جبا جما ، وقنعوا بما ساق الله إليهم من الرزق ، وعاشوا عيشة راضية
يحدوها التقشف والزهد وكلهم موضع احترام الكبير والصغير .



والتعليم الأزهرى مازال يشكو جموداً ، كان له أثر قوى فى تلك
الجامعة الأزهرية ، أعنى به الجمود الذى لازم الأزهر منذ عصوره الأولى
وما زال موجوداً به ، رغم المحاولات التى بذلها كثير من المصلحين
لرفع شأن الأزهر وإقالته من عثرته وإزالة هذا الجمود . فلم تكن
غاية الأزهريين فى الماضى من العلم البحث والتحقيق والتمحيص
والموازنة ، إنما دراسة ما نقل إليهم عن السلف فى ذمة وأمانة ، واعتراضهم
أن كل جيل يقل عن سابقه ، فعهد الصحابة أقل من عهد النبى الذى هو
فى نظرهم العهد الذهبى ، وعهد التابعين أقل من عهد الصحابة ، أما أهل
النظر والمجتهدون فقد عاشوا فى زمن بعيد لا نكاد تبينه فى وضوح ،

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن تاريخ الأمم الإسلامية صادق الدلالة على هذا التدرج في أنظارهم الدينية .

ونفس هذا التصور يتمثل في تقديم العلوم ، ففي رأسها توجد العلوم العقلية مثل علم التوحيد والفقهاء والحديث والتصوف ، ثم تأتي بعدها العلوم العقلية مثل علوم اللغة والعروض والبلاغة والمنطق وعلم الهيئة ، ولم يدرس علم الهيئة إلا لأغراض عملية ، مثل علم التقاويم وتحديد مواعيت الصلاة . ومن العلوم العقلية أيضاً الأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضة ، ولكن أهملت دراستها منذ القرون الوسطى ، وإذا درست فإنما تدرس بشكل ثانوي ومن مصادر تافهة . ويقول الطنطاوي الذي كان يدرس في الأزهر حوالي عام ١٨٢٧م قبل سفره إلى سنت بطرسبرج إنه لا يعرف أحداً قبله ، قرأ في الأزهر ما قرأه هو من مقامات الحريري والمعلقات مع شرح الزوزني . ولم تتأثر الجامعة الأزهرية بالعلوم المدنية التي جاءت إلى مصر من أوروبا في القرن التاسع عشر وأثرت فيها تأثيراً قويا .

وأخذ القول بجرمة بعض العلوم العقلية يتسرب شيئاً فشيئاً إلى الأزهر كما تسرب إلى غيره من الجوامع الإسلامية الأخرى حتى انتهى الأمر بإهمال تدريسها إهمالاً تاماً . ويخبرنا الجبرتي بذلك فيقول : إنه تولى حكم مصر عام ١١٦١ هـ أحمد باشا كور ، وكان ولعاً بالعلوم الرياضية « فلما استقر بقاعة مصر ، قابل صدور العلماء ، ومنهم الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الأزهر فتكلم معهم في الرياضيات فقالوا (لا نعرف

هذه العلوم) فتعجب وسكت « وكان الشبراوى يتردد على الباشا يوم الجمعة ، إذ كان خطيب جامع السراى فقال له الباشا « المسموع عندنا بالديار التركية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق إلى الحجى إليها ، فلما جئتها وجدتها كما قيل (تسمع بالمعدي خير من أن تراه) فقال له الشيخ : (يامولاي ، هى كما سمعتم معدن العلوم والمعارف) فقال (وأين هى وأتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن بعض العلوم فلم تجيبونى ، وغاية تحصيلكم الفقه والوسائل ، ونبذتم المقاصد) فقال الشيخ : (نحن لسنا أعظم علمائها ، وإنما نحن المتصدرون لقضاء حوائجهم ، وأغلب أهل الأزهر لا يشتغلون بالرياضيات ، إلا بقدر الحاجة لعلم المواريث) .

واستمر الحال كذلك من إهمال تدريس العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية ، فقد نهى أهل الأزهر عن قرائتها ونسبوا الكفر لمن يطالعها ، وفعّلوا ذلك مع جمال الدين الأفغانى عند حضوره إلى مصر عام ١٢١٨ هـ ، وكان قد رأى ما آلت إليه حالة تلك العلوم ، فأوقف جهوده على نشرها ، مستعيناً بتلميذه الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الله وافى الفيومى .

وقد تنبه لتلك الحالة فى الأزهر كثير من الأساتذة والعلماء وكثير من أمراء مصر ووزرائها ، فسعوا إلى إعادة تدريس تلك العلوم ولكنهم خشوا الطفرة وتناجها ، فتحاليلوا باستطلاع رأى بعض كبار العلماء تمهيداً لذلك . فأوعزوا إلى الشيخ محمد بيرم قاضى محكمة مصر حينذاك بمقابلة

المرحومين الشيخ محمد الانبائي شيخ الإسلام والشيخ محمد البنا مفتي
الديار المصرية . واتفقوا على أن يفتى لهما الشيخ محمد الانبائي الفتوى
الآتية : (ماقولكم رضى الله عنكم ، هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم
الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعات وتركيب الأجزاء
المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف ، ولا سيما ما ينبنى عليه
زيادة القوة في الأمة ، بما تجارى به الأمم المعاصرين لها في كل ما يشملها
الأمر بالاستعداد ، بل هل تجب بعض تلك العلوم على طائفة من الأمة
بمعنى أن يكون واجبا وجوبا كفاءيا على نحو التفصيل الذى ذكره فيها
الإمام حجة الإسلام الغزالي في إحياء العلوم ونقله علماء الحنفية وأقروه .
وإذا كان الحكم فيها كذلك ، فهل يجوز قراءتها مثلما تجوز قراءة العلوم
الآلية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع الأزهر وجامع الزيتونة
والقرويين وغيرها ؟ أفيدوا الجواب ، لازلتم مقصداً لآلى الأبواب) .

فأجابه الشيخ الانبائي بالفتوى الآتية بعد الديباجة :

(يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافيا لأنه
لا تفرض فيها لشيء من الأمور الدينية . بل يجب منها ما تتوقف عليه
مصلحة دينية أو دنيوية وجوبا كفاءيا ، كما يجب علم الطب كذلك ، كما
أفاد الغزالي في مواضع من الإحياء . وإن ما زاد على الواجب من تلك
العلوم مما يحصل به زيادة التمكن في القدر الواجب فتعلمه فضيلة ، ولا
يدخل في علم الهيئة الباحث عن أشكال الأفلاك والسكواكب ومسيرها
علم التنجيم المسمى بعلم إحكام النجوم ، وهو الباحث عن الاستدلال

بالتشكيلات الفلكية على الحوادث السفلية فإنه حرام كما قال الغزالي
وعلل ذلك بما حصله أنه يخشى من ممارسة نسبة التأثير للكواكب
والتعرض للأحياء بالمغيبات ، مع كون الناظر قد يخطئ خفاء بعض
الشروط أو الأسباب عليها لدقتها .

وأما الطبيعيات ، وهي الباحثة عن صفات الأجسام وخواصها ،
وكيفية استحالتها وتغييرها ، كما في الإحياء في الباب الثاني من كتاب
العلم . فإن كان هذا البحث عن طريق أهل الشرع فلا مانع منها كما أفاده
العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي في جزء الفتاوى الجامع للمسائل
المنتشرة ، بل لها حينئذ أهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعدن
والنبات المحصل للتمكن في علم الطب ، وكعرفة علم الآلات النافعة في
مصالح العباد . وإن كان على طريقة الفلاسفة فلا اشتغال بها حرام ، لأنه
يؤدي إلى الوقوع في العقائد المخالفة للشرع ، كما أفاده العلامة المذكور .
نعم يظهر تجويزه لكامل القرينة الممارس للكتاب والسنة للأمن عليه
مما ذكر قياسا على النطق المختلط بالفلسفة على ما هو المعتمد فيه من أقوال
ثلاثة . ثانيها الجواز مطلقا وثالثها المنع مطلقا

وأما علم تركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء ، فإن كان المراد به
مجرد البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لما يخشى منه على
العقيدة الإسلامية ، فلا بأس به ، بل له أهميته حسب ثمرته . وإلا جرت
فيه الأقوال الثلاثة المتقدمة .

وأما العلم المعروف بعلم جابر وسمى أيضا علم الصنعة وعلم الكاف

وهو أيضا الذى ينصرف إليه علم الكيمياء عند غالب الناس ، فقد أفاد العلامة ابن حجر فى شرحه على المنهاج أنه إن قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقته ، وكان العلم الموصل لذلك يقينا ، جاز تعلمه والعمل به ، وإلا حرم ، ولفقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون به فيما رأينا إلا على ضياع الأموال وتشنت البال وتغيير الأحوال .
نعلم أن العلوم الرياضية لا بأس من قرائتها كما تقرأ علوم الآلات ، وكذلك الطبيعيات وعلم تركيب الأجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل . بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج إليه فى الحجاج عن العقائد الدينية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

غرة الحجة ١٣٠٥ هـ محمد الإنبأى الشافعى

خادم العلم والفقراء بالأزهر ، عفى عنه .

وكتب العلامة الشيخ محمد بن محمد البنا مفتى الديار المصرية الفتوى الرسمية الآتية رقم ١٧١ « ما أفاده حضرة الأستاذ شيخ الإسلام موافق لمذهبنا وما استظهره من أن الخلاف الجارى فى علم المنطق يجرى فى علم الطبيعة أيضا وحبه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

١٧ ذى الحجة ١٣٠٥ هـ الفقير محمد بن محمد البنا الحنفى ، غفر له

وهذه الردود نفسها تشف عن جهل رؤساء الأزهر فى ذلك العهد بهذه العلوم وعن عداوتهم لها ، والريبة فيها ، ولسكن الجهر هكذا بوجوب إدخالها الأزهر ، برهان ساطع على أن روحا جديدة قد ابتدأت تحتاح

الأزهر في ذلك الوقت وإن كان دخول تلك العلوم لم يتم إلا في عصر الخديو عباس الثاني .

أما في تلك الحقبة من الزمن فقد كانت أهمية كل علم من العلوم تقف لإباعتبار قيمته الموروثة ، بل باعتبار شيوعه وإقبال الطلاب عليه ، فإننا نرى أن أعلاها مرتبة هو علم الفقه لأهميته في الحياة العملية ولكثرته الوظائف التي يؤهل لها .

كما عظم إقبال الطلبة على علوم اللغة والبلاغة ودروس المبادئ التي كانت تخصص للناشئة من الأعراب والأجانب ، وكان أهم العلوم دراسة هو علم الكلام أو التوحيد وويليه تفسير القرآن والحديث الشريف وكان لمذاهب الشيعة الكبيرة دائماً أثر كبير في الأزهر وبخاصة في إدارته ، فقد أخرج الشيعة منذ أيام الفاطميين ، أما الحنابلة فلم يعين واحد منهم شيخاً لقلّة عددهم وضعف نفوذهم ، وكان للباكية الذين يعيشون غالباً في صعيد مصر وفي بلاد الدلتا مقام كبير محترم وإن قل منهم من تولى مشيخة الأزهر ، ولم يعملوا قط على الاحتفاظ بالنفوذ الذي يخوله لهم كثرة عددهم فظلت المنافسة محصورة دائماً بين الشافعية أتباع المذهب القومي وأتباع المذهب الحنفي الذي كان مذهب الباب العالي وأتباعه التتروالقوقاز والترك والذين كانوا ذوى نفوذ كبير عدة قرون . وهذا الخلاف استغله الحكام لبسط نفوذهم على البلاد ولتحويل الأزهر بين الذين كانوا يتقربون إليهم إلى المذهب الحنفي .

وقد قامت بين رجال الدين والمتصوفة كثير من المشاحنات هددت

مركز رجال الدين في كثير من الأحيان. وإن كان المتصوفة قد تعرضوا لمهاجمات شديدة من رجال الدين عند ما كان المتصوفة يحاولون تجريح آراء رجال الدين أو تعطيل أصول بعض العقائد. وكانت الغلبة في النهاية لرجال الدين، وإن تركوا الصوفية أحراراً في الاشتغال بالتصوف ورسومه ومناسكه عائشين عيشة وادعة يلفها الزهد.

ولم يكن بالأزهر حتى آخر العقد الأول من القرن العشرين قانون يضبط أوقات الدروس وعدد الحصص اليومية ولكن جرت العادة من زمن قديم أن تكون كما يلي :

بعد الفجر : التفسير والحديث ، بعد الشروق : الفقه ، بعد الظهر : النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والأصول ، بعد العصر : الحساب والتاريخ والجغرافيا وسائر العلوم الحديثة ، بعد الغروب : المنطق وآداب البحث والهيئة .

ومدة الدرس عادة ساعة أو ساعتان وأغلب الطلبة يتلقى كل منهم درسين صباحاً ودرسين مساءً ، وبعضهم يتلقى أكثر من ذلك وبعضهم أقل حسب نشاط كل منهم وعدد العلوم التي يرغب في تلقيها .

نهضة الأزهر

كان غز والعثمانيين لمصر ذا أثر كبير في المدينة الإسلامية ، وكان أشد تازلة أصابت العلوم والفنون التي كانت متألقة في سماء العالم الإسلامي أجمع . واستمرت مصر في غيبوبة تلك الصدمة زهاء الثلاثة قرون . ففي مدة الثمانية أشهر التي قضتها الفاتح سليم في مصر ، سلب البلاد جميع تفائسها وآثارها وكتبها ومؤلفاتها الخطية لأعلام فقهاء مثل ابن إياس والمقرئزي والسخاوي والسيوطي كما أرسل إلى بلاده أمر العمال والفنانين والكتاب في مصر فانحط معيار الثقافة فيها ورسفت الحركة الفكرية في الأغلال .

ولم يكن الأزهر أقل من غيره تأثراً بتلك الحركة فقل فيه العلماء النابهون وانعدم الانتاج الفكري والأدبي وأهملت فيه دراسة العلوم الرياضية إهمالاً تاماً .

ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن الأزهر قد بذل مجهوداً جباراً في الاحتفاظ بمكانته التليدة وهيبته العظيمة حتى في نفوس الغزاة أنفسهم ، فترى الفاتح سليم يؤدي له الزيارة مراراً ، بل كان حكام مصر الأتراك

يلجأون وقت الشدة إلى علماء الأزهر وشيوخه يلتمسون منهم العون والمساعدة عند شوب الثورات أو قيام الفتن .

كما أننا نغفل حقيقة واقعة هي أن اللغة العربية ، استكنت داخل الأزهر طيلة الحكم العثماني لمصر . ثم ابتدأت بمجرد انقشاع ذلك الحكم في الظهور والنمو . فقد استمرت مصر ملاذا لطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية ، يؤمه هؤلاء الطلاب من جميع البلاد الإسلامية . وهكذا استطاع الأزهر منذ أوائل القرن التاسع عشر أن يحيى حياة جديدة . وكانت مهمة الأزهر تلك في الاحتفاظ باللغة من الصعوبة بمكان . بل يعتبرها المؤرخون أعظم ما وفق الأزهر لإسدائه من خدمات لعلوم الدين واللغة والفقهاء خلال القرون الثلاثة المظلمة ، بل لعلها أعظم ما قام به الأزهر منذ إنشائه إلى الآن .

وقضت حملة نابليون عام ١٧٩٨ م على الحكم التركي في مصر ، وعلى الرغم من أنها لم تستمر في مصر أكثر من عامين إلا أنها تركت أثراً عميقاً في جميع النواحي العقلية والعلمية . فقد ضمت الحملة العلماء والأطباء والمهندسين . خلفوا لنا بعد أن بارحوا الأراضي المصرية كثيراً من الأبحاث والدراسات كانت دعامة لمن أتى بعدهم من الباحثين فأنشأوا معامل كيميائية ورسّموا خريطاً جغرافية وعملوا أبحاثاً طبية ، لمس فيها علماء مصر ومفكروها مظاهر حضارة جديدة لم يعرفوها من قبل . كما أحضرت الحملة ، المطبعة وأنشأت الصحف والمدارس والمكتبات العامة وعيّنت بالفنون الجميلة والبحث عن الآثار القديمة

فتيقظ في الناس الشعور بجماعتهم إلى التهذيب الخلقى والرقى الفكرى والعلوى ثم إلى الاستقلال الذى شغلوا به في هذا العهد الحديث .
 فلما جاء محمد على باشا الكبير وجه عنايته إلى التعليم العملى وحمل الناس عليه حملا ، ولم يكن في مصر كلها فى ابتداء عهده معهد محترم إلا الأزهر حيث كانت تدرس العلوم اللغوية والدينية بذلك الأسلوب العتيق ، وإلا تلك (الكتاتيب) المنبثة فى القرى حيث تحفظ القرآن وتدرس الكتاتية والقراءة بالرهبة لا بالرغبة . وحول ذلك جهالة منتشرة وخرافات ذائعة .

حاول محمد على أن يقيم بناء جديدا للحكم الجديد مسترشدا فى ذلك بالأفكار الأوروبية ، ولم يغفل الأزهر بل جعله موضع عنايته ورعايته فاحترم علماءه وقرههم منه . على أنه لم يكن فى مقدوره الاحتفاظ للأزهر بمقام خاص ، فقد كان رجل عمل ينشد الإصلاح ويعمل له ، وكانت الروح التركية قد طغت على الروح العربية وأطقتها ، وظل المصرى المظلوم عهداً طويلاً يمقت استبداد الترك به ، فأدرك محمد على بذكائه وفراسته أن الأزهر فى وضعه الحالى لا يتفق مع الروح الجديدة التى ابتدأت تشع فى نفوس المصريين ولا مع آماله فى أن يجعل مصر دولة عظيمة فتية أوروبية .

وقد اضطرت الحكومة فى عهد محمد على إلى الاستيلاء على أملاك الأزهر الواسعة وذلك لمصلحة الدولة على الرغم من أن هذه الممتلكات كانت وقفا لا يجوز التصرف فيه ، فأضرب هذا العمل بالأساتذة والطلاب

ضرراً ليس بالقليل .

وما وافى عام ١٨٢٦م ، حتى كان محمد علي قد نجح في إرسال عشر بعثات علمية متوالية إلى باريس ولندن وينا ، بلغ عدد طلابها ثلاثمئة صرف عليهم ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات واختار أعضاء تلك البعثات من صفوف طلبة الأزهر . فتلقوا العلم هناك على أحدث طريق وأرقى أسلوب ودرسوا القانون والعلوم السياسية واللغات والهندسة والطب والكيمياء والرياضيات والفنون العسكرية والفنية وذلك في وقت أهمل الأزهر فيه دراسة كثير من المواد الهامة كالرياضيات والحساب والتاريخ والجغرافيا والطبيعة .

وهكذا نشأت بمصر طبقة من المفكرين والعلماء والأدباء ، أخذوا قسطاً وافراً من العلوم الحديثة . إذ ما كاد هؤلاء يعودون إلى ديارهم حتى عادت تلك العلوم الهامة إلى مكانتها السابقة بين العلوم التي يهتم الأزهر بدراستها ، بل أصبحت الطريق الوحيد أمام دارسها ليصل إلى الشهرة ومناصب الدولة الرفيعة ، فانتعش الأزهر ونفض عن نفسه ثوب الخمول والركود الذي لبسه طيلة الحكم العثماني . وأخذت الكتب الأوروبية عامة والفرنسية خاصة تترجم إلى اللغة العربية وتدرس بإمعان في الأزهر وإن اضطر أولى الشأن إلى ابتكار كثير من الألفاظ الجديدة والاصطلاحات الحديثة والأساليب العصرية التي كان الأزهريون يستخرون منها ويهزأون .

ولم تقتصر جهود محمد علي على إرسال البعثات إلى الخارج والعناية

يما يدرس بالأزهر ، بل أنشأ الكثير من المدارس الخاصة كالطب والهندسة والألسن والفنون والصنائع وكثيرا من المدارس الابتدائية والتجهازية ، فأضر ذلك بالأزهر ضررا بليغا ، فنافست تلك المدارس الأزهر منافسة قوية وحولت عنه كثيرا من طالبي العلم .

وكان الأزهريون يعتبرون كل من عاد من أعضاء البعثات الأوروبية سفيا متكلفا . وهذه الخصومة التي قوى أمرها أيام الطنطاوى عام ١٨٣٠ م ، ظلت قائمة إلى وقتنا هذا على الرغم من التغييرات الكثيرة التي طرأت على الأزهر من عهد محمد على إلى عصرنا الحالى ، فقد ظل الأزهريون يسخرون من المصريين الذين تعلموا في أوروبا ويقولون عنهم إنهم تعلموا تعليما سطحيا .

وظل الحال على هذا المنوال فى عهد إبراهيم باشا وعباس الأول وسعيد باشا ، إلا أن حركة الإصلاح كانت قد فترت وظهرت فكرة الجمود والاستبداد فى الحياة العلمية والأدبية والفكرية ، فقد كان عباس باشا لا يهتم كثيرا بشئون التعليم وإن الأزهر حظى ببعض زيارته ، إلى أن حدث الانقلاب الكبير فى عهد إسماعيل العظيم .

وربما كان إسماعيل مدفوعا إلى هذا الانقلاب بتلك النزعة القوية التي كانت محتلج فى نفسه والتي كانت ترمى إلى إقامة دولة عربية مصبوغة بالصبغة الأوروبية مكان تلك الدولة التي تتألف من رعية عربية وراعى عثمانى .

وكان لا بد لتحقيق أغراضه ، من إصلاح الأزهر إصلاحا يتفق

والآراء الجديدة . فقام إسماعيل بتأييد الشيخ محمد العباسي المهدي الخنفي شيخ الجامع الأزهر وكان فقيها ذكيا مستنيرا واسع الخبرة ، بإصدار قانون للأزهر ، كان الغرض منه رفع مستوى الأساتذة والمجاورين ، ولما كان قضاة المحاكم الشرعية ومفتوها يعينون من العلماء ، مست الحاجة إلى العناية بمتخرجي الجامع الأزهر . وكان نظامه قد أخذ في الانحلال سنة بعد سنة لأسباب تكاد تكون طبيعية ، مرجعها تطور الهيئة السياسية . وتبدل أحوال الأمة رويدا رويدا ، وفقدان قاعدة الرقي المناسب لهذه الحالة في الجامع الأزهر . حتى ادعى العلم من ليس من أهله وتظاهر بطلبه كل فار من خدمة الجيش ، فشوه فيه تلاميذ يربو سنهم على الستين وعلماء لا يعرفون من العلم إلا الأسماء العلوم ورأى الشيخ محمد العباسي شيخ الجامع وجوب وقاية العلم وأهله من هذا البلاء المقليل فوضع قانونا للتدريس وصدرت بإنفاذه إرادة سنية بتاريخ ٢٣ ذي القعدة من عام ١٢٨١ هـ (٣ فبراير عام ١٨٧٢ م) قضى هذا النظام :

(١) أن يكون نيل العالمية بالامتحان على يد لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع

(٢) وأن ينقسم العلماء إلى ثلاث درجات أولى وثانية وثالثة

(٣) وأن يصدر بذلك بيور ولدى عال

(٤) وأن يمتاز أرباب الدرجة الأولى بكسوة تشریف ينعم بها من

لدى الجناب العالي

(٥) وأن العلوم التي يمتحن فيها الطلاب هي :

الفقه - الأصول - التوحيد - الحديث - التفسير - النحو -
 الصرف - المعاني - البيان - البديع - المنطق
 وأراد الشيخ العباسي المهدي بهذا القانون أن يبعد عن الأزهر
 العناصر التي لا تتميز بالكفاءة والجدارة . وكان لابد من تحسين حال
 الأساتذة بتقرير رواتب ثابتة لهم .

وتأثرت تلك الإصلاحات بالأفكار الأوروبية ، وعلى وجه أدق
 بالآراء الفرنسية التي تبدو في برامج الدراسة وفي تقرير أداء الامتحان
 عند التخرج ، وكان هذا أمراً جديداً بل حدثاً بالنسبة للأزهر . وقد
 ألقت لجنة من ستة أعضاء وعينت المواد التي يجب أداء الامتحان فيها
 وتقرر للطلاب مكافآت دراسية . وأخذ التنافس والتشاحن على الأمور
 التافهة يقل بعد أن كان شائعاً بين جميع الطوائف الأزهرية .

والحق أن عصر إسماعيل كان عصراً ذهبياً في تاريخ الأزهر ، فقد
 تفتحت فيه ثمار النهضة الحديثة وابتدأ الأزهر يفيق من سباته الطويل
 ويتطلع بدوره إلى فهم الروح الجديدة وإن كان يبطئ . وكان
 للسيد جمال الدين الأفغاني أثر كبير في إنماء هذه النهضة ، فقد كان لحلقاته
 الشهيرة التي كان يشرح فيها كثيراً من علوم الكلام والفقه والفلسفة
 والمنطق بأسلوبه العصري المبسك أثر عظيم في نفوس من استمع إليه
 في ذلك الحين من طلاب الأزهر وشيوخه .

وما أن صدر قانون إسماعيل ، حتى سميت علوم الأزهر (العلوم
 الإحدى عشر) ومضى الأزهريون على ذلك حوالي ربع قرن . فتمكنت

من قلوبهم عقيدة أنه لا علم غير العلوم (الإحدى عشر) وما كانوا يدرسون شيئاً من السيرة النبوية والأخلاق الدينية وحكمة التشريع ومصطلح الحديث ، ولا يتعلمون الخط والاملاء والانشاء والتوثيق الشرعية والهيئة والميقات وآداب البحث وآداب اللغة ما هو من ضروريات الأزهريين. وهناعلة تمسكهم السابق بهذه العلوم دون غيرها. ومعارضتهم إضافة أى علم آخر إليها وتسميتهم محاولة ذلك تهجماً على الدين. وموجباً لزعة العقيدة كما سموا ماعدا العلوم (الإحدى عشر) العلوم الحديثة. والواقع أنها لم تكن كذلك ، بل كانت هى وغيرها تدرس بالأزهر إلى عهد ليس ببعيد ، وأن منهم من حضر عهد دراسة هذه العلوم .

وكانت الشهادة التى تعطى للعالم فى نهاية دراسته تكتب فى المعية السنوية متوجة بختم الخديو ، كما يخلع عليه الخديو فرجية وشريطاً مقصبا يجعله فى عمامته فى مواضع تشرىف ، ويكتب للجهاث باحترامه وتوقيره ويعطى تصريح بر كوب القطار بنصف أجر ، ولم يكن يسمح بالامتحان إلا لسة طلبة ، فإذا ازداد العدد يرجح منهم من امتاز بالشهرة أو الوجاهة أو كبر السن .

ولكن الظروف كانت أشد من المصلحين قوة بعد أن ابتداء الأزهر يصيب أول قسط من الإصلاح ، فقد قامت بالأزهر طائفة المتزمطين ، أعداء كل إصلاح وتجديد برئاسة الشيخ المالكي محمد عليش ، وأقاموا

أنفسهم خصما عنيدا للشيخ العباسى وأخذوا يقاومون ويهاجمون تلك
 الاصلاحات العظيمة . ولم تكن تلك الفئة لتستطيع نجاحا مع رجل
 كالخديو إسماعيل لولا تلك المحن الاقتصادية والسياسية وما أعقبها من
 تدهور مالى سريع . ثم احتلال الانجليز مصر عام ١٨٨٢ م وغير ذلك
 من أسباب التقليل والاضطراب . ففترت حركة الاصلاح بعض
 الوقت .

على أن توفيق باشا وعباس باشا الثانى الذين خلفا إسماعيل باشا ،
 لم يرضنا على الأزهر بالرعاية والعطف وعمل عباس باشا كل ما فى وسعه
 لتحقيق الاصلاح المنشود ولكنه تصادم بدوره مع جماعات المحافظين .
 على أنه من السهل أن تدرك أن إصلاح الأزهر — أى إدخال
 الأفكار الحديثة إليه — لم يكن من المستحيلات بل كان فى المستطاع
 تحقيقه فى تدرج وبطء . فلم يخل الأزهر من أفراد مستنيرين
 وإن كانت الأغلبية فيه لم تكن ترض بالتجديد ولا تقبله . وإذا كانت
 أكثر المعاهد المصرية الأخرى قد تأثرت بالآراء الأوربية ، فقد
 ظل الأزهر وحده بعيدا عن التأثير فخورا بذلك الاعتزال . على أنه
 يجب أن لا نخدع فى فهم الروح التى كانت تسوده ، فقد كان أبطال
 النظام القديم يعتبرون الاصلاحات القليلة التى أدخلت على الأزهر
 مدنسة لحرمة هذا المكان المقدس . فهم يفسرون الإصلاح بأنه محاولة
 للاحالة بين الأزهر وبين ما كان له من شرف ومجد . ولما هدد رجال
 المهدي وادى النيل عام ١٨٨٤ م ، كان الأزهريون يعطفون عليهم كل

اللعطف . وعند ما أراد رجال الشرطة المصريون بقيادة بعض الأوربيين أن يدخلوا الأزهر في ٧ يونيو عام ١٨٩٦ م للتحقق من تنفيذ بعض الاحتياطات الصحية التي اقتضاها انتشار الطاعون، اعتدى عليهم المجاورون ورموهم بالحجارة والخشب والأواني وغير ذلك وأكروهوهم على الانسحاب .

وكان المجاورون الشبان الذين تأثروا في آرائهم الدينية بما تلقنوه عن شيوخهم — يعتقدون اعتقادا قويا أن القذارة لا تفارق البركة — وأن من التمسك بالدين مقاومة انتهاك حرمة الأزهر حتى في دورة مياهه ووقام المجاورون لمثل هذه الأسباب بفتنة كبيرة عام ١٩٠٩ م .

محمد عبده والأزهر

كان المصلح الكبير الامام الشيخ محمد عبده يرى أن بقاء الأزهر على حاله محال وأنه إما أن يعمر وإما أن يتم خرابه . فقد كان الامام في مقدمة الرجال العصريين الذين لهم أثر كبير ملهوس في إصلاح الأدب والدين والسياسة والاجتماع ، سواء أكان ذلك في مصر أم في العالم الاسلامي ، وإذا كنا نشعر اليوم بحركة إصلاحية في الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم الشرعية ودور العلم حيث تتصل الحياة الدينية بالحياة المدنية ، فالامام واضع أساسها متأثراً في ذلك أستاذه العظيم السيد جمال الدين الأفغاني الذي بث في المصريين روح التجديد والاصلاح وحرك فيهم عاطفة الوطنية مستعيناً في ذلك بكثيرين من تلاميذه المبرزين على العمل والكتابة وإنشاء الفصول في الصحف ، وسهل لهم أمر الخطابة في المحافل ، كما كان يعقد لهم في بيته المناظرات الفلسفية والفقهية والدينية والأدبية ، فهزا فرصة تلك الاجتماعات لنشر تعاليمه التي كانت تحض على التوفيق بين الاسلام والمدنية والرجوع إلى المصادر الأولى للتشريع الاسلامي وشرحها شرحا معقولا

خالياً من الخرافات والأساطير ، ثم الميل إلى تحرير الفكر والعناية بالعلوم الفلسفية والأساليب الغربية . فتركت تلك التعاليم روحاً إصلاحية استطلت أثرها إلى يومنا هذا .

كان محمد عبده طالباً بالأزهر صغير السن يوم أن عرف أستاذه جمال الدين الأفغانى ، وسرعان ما افتتن به ولازمه كظله ، بعد أن صادفت تعاليم الأفغانى من نفس الأزهرى الصغير أرضاً خصبة . فأخذ عنه كل مبادئه وأغراضه . ثم أصبح وهو مازال طالباً يقرأ دروساً فى الأزهر على أسلوب أستاذه ، موضوعها التوحيد والمنطق والحكمة والفلسفة . وكان يؤم تلك الدروس الجهم الغفير من العلماء والمجاورين ، فيرون كتباً جديدة وروحاً جديدة وأسلوباً جديداً ، فيه بلاغة وحرية فكر ، وهنا ظهر الاصطدام بين مذهبين ، مذهب الأزهر القديم الذى كان ينادى به الشيخ عليش ، ومذهب محمد عبده وأستاذه ، يجهر به هذا الطالب موقفاً قادراً يبهز به الناس . كما ظهرت للشيخ الامام المقالات الصحفية فى التصوف والتوحيد الممزوجين بالحكمة والفلسفة والمنطق ، لفتت إليه الأنظار فعضده الكثير من الطبقة النابهة . وشجعوه على كتابة المقالات الدينية والأدبية والاجتماعية كلها تدعو إلى إدخال العلوم العصرية فى الأزهر . ولما بلغ الثامنة والعشرين تقدم لامتحان العالمية ، فنالها عام ١٢٩٤ هـ بعد تلىكو العلماء وتبرمهم به لعلمهم بنزعتهم التجديدية وتأثره بآراء جمال الدين الأفغانى ، وكلاهما نائر فى وجه الجود ، داعية إلى حرية الفكر وإن اختلف الامام

مع أستاده في طريقة الإصلاح .

فكان الأفغانى يرى أن خير وسيلة لهذا الإصلاح إنما هي الحكومة ،
تفرضه فرضاً على الشعوب ليكون ألزم وأسرع ، ولكن الامام كان
يرى التربية وإعداد الأمة للإصلاح خير وسيلة قديمة ثابتة ، فهناك فرق
كبير بين فرض الأمور فرضاً على الأمة دون استعداد لها ، وبين
إعدادها وثقيفها حتى تشعر بحاجتها إلى الإصلاح وتطلبه لنفسها في
شغف واشتياق ، وأخرى بالأمم في الحالة الأولى أن تثور وتهدم في
طرفة عين ما بنته الحكومة على غير أساس ، كما يحدث دائماً في الشرق .
لذلك نجد الامام يحاول إصلاح الأزهر أولاً ، فإصلاحه إصلاح
للأمة وضمن لمستقبلها ، فتناول فيه الناحية الإدارية والصحية والخلقية .
وجد الامام أن الأزهر قد أضحي معدوم النظام مضطرب الادارة ،
فلم تسكن هناك قواعد ثابتة لتوزيع المرتبات والجرایات ومنح كساوى
التشريف ونيل بقية امتيازات العالمية . وكان اختلاف المذاهب فيه سبباً
في عدم استقرارها . فما وافت أوائل محرم عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)
حتى اشتدت في الأزهر نفسه حركة استياء عامة شملت الأساتذة
والطلاب . فاضطر فريق من العلماء إلى رفع عريضة إلى سمو الخديو
يعرضون فيها حالة الأزهر وما وصل إليه من اضطراب وسوء إدارة
ويلتمسون وضع حد لهذه الفوضى التي كانت تضرب أطنابها فيه في ذلك
الحين . فصدرت إرادته السنية بالقانون المعروف بقانون عام ١٨٩٥ م
ومن ذلك التاريخ دخل الأزهر في طور جديد .

ولا يمكننا أن ننكر فضل الامام محمد عبده في إخراج هذا القانون إلى حيز الوجود . ففي حكم الخديو توفيق بذل مجهودا كبيرا في إقناع الشيخ محمد الانبأى شيخ الجامع فى ذلك الحين بأن يوسع منهاج الدراسة بالجامع وأن يدخل بعض العلوم الحديثة على منهاج التعليم فيه . ولكن شيوخ الأزهر عارضوه معارضة شديدة فحاول أن ينال تأييدا من الخديو ولكنه لم ينل منه عطفًا كافيًا .

فلما ولى الحكم عباس باشا الثانى ، حاول أن ينجح معه حيث فشل مع سلفه ، فرفع إليه تقريراً مسهباً عن الأزهر وطرق إصلاحه فصادف ذلك التقرير رضاءً عالياً من سمو الخديو فأصدر القانون السالف الذكر فى ١٧ رجب عام ١٣١٢هـ (١٥ يناير سنة ١٨٩٥م) فألّف مجلس لإدارة الأزهر من أكابر شيوخه الذين يمثلون المذاهب الأربعة ، ومثل الحكومة فيه الشيخ محمد عبده نفسه وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان دون أن يكون لشيخ الجامع وللمجلس إدارته رأى فى انتخابهما .

وعلى الرغم من أن الإمام كان مؤيداً فى آرائه الإصلاحية من الخديو وحكومته ، فقد أراد ألا يعمل أى تغيير فى الأزهر إلا برضاء شيوخه .

كانت المراتب تؤخذ من أوقاف الأزهر وأوقاف وزارة الأوقاف الخاصة بالأزهر ومن إعانات رتبها أمراء مصر على التوالي للعلماء بالروزنامة ومن أوقاف المحسنين . ومع ذلك فقد وجد الإمام أن معظم العلماء لا يتناولون راتباً من الأزهر ، بل يعتمدون على ما ينالونه من جارية أو

يصيبونه من طلبه حاقاتهم أو ما ينالونه من أجر مقابل إعطاء بعض الدروس الخاصة في المنازل ، وكان تقسيم المرتبات الناتجة من الأوقاف موكولاً إلى إرادة شيخ الجامع . وقد أدى التزاحم على نيل نصيب منها والرغبة في إرضاء العدد الأكبر من العلماء ، إلى تجزئة المرتبات أجزاء صغيرة بحيث أن بعضها لم يتجاوز مئة قرش في السنة كلها ثم ستة عشر قرشاً في كل شهر ، ولم يبلغ مرتب عالم ستمئة قرش وهو النادر ، فإذا انحل مرتب لموت صاحبه ، تسابق أهل المرتبات بقسمته بينهم . وكان الإعطاء يتبع قوة المعطى إليه ، وكان الحرمان يؤثر في نفس المحروم أثراً يبعثه على الشكوى الدائمة ، فحدد قانون عام ١٨٩٥ لجميع العلماء رواتب ثابتة شهرية وفقاً لدرجاتهم في العالمية . فسعى لدى الحكومة حتى خصت الأزهر في ميزانيتها بمبلغ ألفي جنيه سنوياً .

واهتم الامام بمسألة الجرايات التي كانت سبباً من أسباب الفساد والمشاجرة بين المجاورين وشيوخهم ، فنظم توزيعها . وقضى برجوع مرتب المتوفى إلى ابنه إن كان له ابن . واشترط لذلك شروطاً منها أن يحفظ القرآن إن كان صغيراً وطلب العلم إن بلغ الخامسة عشر . ونص على أن كل مرتب من الأوقاف لعالم من الأزهر يصبح بموت صاحبه حقاً للجامع تجرى عليه أحكام المرتبات . وأن المرتبات التي بشرط واقف تتبع فيه شروط الواقفين . غير أن استحقاقها وتحقق الشروط فيمن يطلبها يكون من خصائص مجلس الإدارة . وقضى أن يعود إلى الأزهر مرتباته الأصلية التي خرجت منه لأفراد معينين بأوامر عالية ،

متى مات أربابها ، وقد أجاز كذلك الجمع بين المرتب ونصيب الشيخ من الأوقاف والجرارية ، إلا أنه جعل المرتب مستحقاً لإفادة الطلبة فلا يتناوله غير مدرس ، إلا في أحوال نادرة ، وهي خطوة كبرى وضعت حداً لفكرة أن الأزهر أشبه بتكسية يعيش فيها من لا عمل له .

واستصدر الإمام قانون كساوى التشريف التي كان يلبسها العلماء في مناسبات معينة تميزهم عن غيرهم ، فصارت تعطى لمستحقها بمراعاة الأقدمية وغيرها من المؤهلات ، وكان الرأى فيها من قبل ، لشيخ الجامع يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ، والأصل في هذه الكساوى أن أكابر العلماء وبعض مشايخ الحارات من أهل الحسب والنسب كانوا يزورون ساكن الجنان محمد على باشا الكبير في قصره في أول يوم من رمضان تبريكاً بحلول شهر الصوم ، فيخلع عليهم خلعاً هى الكساوى المذكورة وبعد وفاته تتوسيت تلك العادة إلى زمن الخديو إسماعيل فأحياها . ثم اهتم الامام محمد عبده بتنظيمها ، فصدر أمر الخديو عباس الثانى ، بربط بدلها نقوداً باسم طائفة أهل العلم بالجامع الأزهر على الدوام .

وعنى الإمام كذلك عناية كبيرة بشئون الأزهر الادارية ، فابتنى مكاتب قريبة من الجامع يقوم بالخدمة بها عدد من الكتاب لمعاونة شيخ الجامع ، بعد أن كان الشيخ فى الماضى يدير الأزهر من منزله حيث كان المدرسون والمجاورون يجتمعون إليه ، تاركاً أمور الأزهر العادية الهامة فى يد كاتبه الخاص بيت فيها كما يشاء فيستبد ويظلم . وقد نالت مسألة مساكن المجاورين كثيراً من عناية الإمام وعطفه ،

فقد كانت الأروقة مزدهمة بساكنيها من الطلاب ، لا تتوفر فيها الشروط الصحية والنظافة ، فحدد أثنائها وأوصل إليها المياه الصالحة للشرب والوضوء ، وحول قناديل الزيت الضعيفة الضوء إلى مصابيح قوية تضئ بالبتروال . كما عين طبيباً خاصاً للأزهر ومجاوريه وأنشأ لهم صيدلية مجانية داخل الأزهر ، كما أنشأ لهم مستشفى خاصاً بهم فيما بعد .

ولاحظ أن الجراية التي تصرف للمجاورين ليست كافية لغذائهم مما سهل انتشار الأمراض بينهم فأقعدت معظمهم عن تلقى الدروس . فسعى حتى رفع الجراية من خمسة آلاف رغيف يومياً إلى خمسة عشر ألفاً . ونظم إدارة الأوقاف المحبوسة على الأزهر وكانت تحت أيدي أساءت استعملها ، فارتفع إيرادها من أربعة آلاف جنيه إلى أربعة عشر ألفاً وسبعمائة وخمسين من الجنيهات .

وابتدأ في توجيه عنايته إلى المسألة ذات الأهمية القصوى لديه وهي مسألة التدريس في الجامع . فألف لجنة من ثلاثين عالماً من علماء الأزهر لتكتب تقريراً مسهباً إلى مجلس الإدارة عن العلوم التي تدرس في الأزهر بالفعل وعن العلوم التي ترى أنه يجب إضافتها إليها ليكون التعليم فيه على أحسن صورة فعينت اللجنة علوم المقاصد وعلوم الوسائل وأضافت إلى علوم الوسائل الحساب والجبر وتاريخ الإسلام والإنشاء ومتن اللغة وآدابها ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان . وألزم طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية ، أن يمتحن في علوم المقاصد وعلوم الوسائل والحساب والجبر ، وحث القانون أن يجنب الطلاب في السنين الأربع

الأول قراءة الحواشي والتقارير المطولة ، وأن يفرغوا لتحصيل جواهر العلوم الدينية بطريقة سهلة التناول ، ثم اشترط فيمن يقبل للامتحان أن يكون قد أمضى مدة اثنتى عشرة سنة ضمن الطلبة على الأقل ، وفي حالة ما إذا كان الطالب الممتحن حنبلياً ، نص على أن يكون في هيئة ممتحنه عضو حنبلي أو أكثر .

وكان متوسط عدد الذين يتقدمون للامتحان ثلاثة في العام ولم يتجاوز عددهم الستة في أى عام من الأعوام ، فزاد بعد القانون إلى خمسة وتسعين ، نجح نحو ثلثهم .

ثم حدد القانون أوقات الأجازات الدراسية وقصر أجلها ، فأصبحت شهور العمل ثمانية بعد أن كانت أربعة .

وخشى بعض العلماء أن تحول العلوم الحديثه بين كثرة الطلاب وتحصيل العلوم القديمة المتداولة ، فعقد الشيخ الإمام إجتماعاً ليظهر أن نسبة الناجحين من الطلاب الذين درسوا العلوم الحديثه والعلوم القديمة ، أكبر منها في أولئك الذين قصروا همتهم على دراسة العلوم القديمة وحدها .

ثم تبين له أن مكتبة الأزهر كانت في أسوأ حال من الإهمال وسوء الانتفاع ، بل كانت في الواقع لا وجود لها ، كانت كتبها موزعة مشتتة في الأوراق المختلفة ، وكان أكثرها في حال يرثى لها ، وتسرب كثير من كتبها القيمة إلى أيدي الغربيين ، وبيعت نفائسها إلى باعة الكتب بالثمن البخس . فحىء بهذه الكتب من مخابها محشوة في الغرائر والمقطف

ثم رتبت ووضعت في المكتبة . ونظم ما بقى منها في الأروقة المهمة ،
وعنى بها عناية تامة ، ثم أنشئت كذلك مكاتب في المعاهد التي ألحقت
بالجامع الأزهر ، كالجامع الأحمدى والدسوقي ومعهد دمياط
والأسكندرية وأصبحت تخضع لقانون الأزهر ونظامه ، فنالت نصيبها
من الإصلاحات التي أدخلت على المعهد الرئيسي .

وأمل الأستاذ الإمام في أن يتخذ من الأزهر مركزاً لحركة
إصلاحية ونهضة عقلية في البلاد كلها فعاد إلى التدريس في الأزهر بعد
أن تركه مدة طويلة وألقى به كثيراً من دروس التوحيد وتفسير القرآن
والبلاغة والمنطق .

وينبغي أن نشير هنا إلى ما أبداه الشيخ الإمام محمد عبده في عظيم
الاهتمام بإحياء اللغة العربية وأساليبها الفصحى . وقد استعملها في دروسه
وخطبه وأحاديثه في الأزهر وسعى لتخصيص مبلغ مئة جنيه من ديوان
الأوقاف لأحد العلماء لتدريس هذه اللغة في الأزهر .

وكانت الناحية الخلقية مشكلته ، يعالجها بالتدريس والمناقشة وتعمد
الطلبة وحملهم على الفضائل والسعى لهم وجميع اللاجئين إليه في أسباب
السعادة والخير ، وكثيراً ما كان قدوة صالحة بتضحية مرتباته وراحته لهم .
ومع أن الشيخ الإمام قد بذل جهداً كبيراً في تحقيق هذه الإصلاحات
فإن مقدار ما وفق إليه من نجاح لم يكن مناسباً مع عظمة أغراضه ،
فقد أدرك جزءاً منها وقد اضطر في ١٩ مارس عام ١٩٠٥ إلى الاستقالة
من الأزهر لتغير الخديو عليه ولشدة مآلقاته من معارضة بعض

الأزهريين الرجعيين . كما استقال معه صديقه الوفي الشيخ عبد الكريم سلمان وعضو آخر هو السيد أحمد الحنبلي .

غير أن قوة النزوع إلى التقدم والإصلاح كانت عظيمة حقا . وكان انتشارها أوسع مما يدل عليه عدد الذين جاهدوا بمناصرة الشيخ الإمام والانتواء تحت لوائه ، فكان في خارج الأزهر عدد من الذين يضمرون العطف عليه وعلى أغراضه أكبر جداً ممن هم في داخله ، ولكن الخوف من الجهر بالرأى داخل الأزهر ، كان له أثر كبير خارجه ، فأفضى إلى إخفات صوت مناصريه وشل جهودهم ، بينما كان المعارضون لا يفتر لهم نشاط ولا يخفت لهم صوت .

ولم تجذب مبادئ الإمام الأزهريين كما اجتذبت طبقة المطر بشين المتأثرين بالحضارة الأوروبية ؛ وكان العدد الأكبر من مريديه وتلاميذه من أرباب المناصب العالية في القضاء وأساتذة المدارس العليا أورؤساء المصالح الحكومية . وكان بعض هؤلاء قد تعلم في الأزهر ، ولكن أكثرهم كانوا ممن تلقوا شيئاً من علوم الغرب وبعضهم ممن جلس إلى جمال الدين الأفغانى .

* * *

وانتقل الأزهر بالقانون رقم ٦٠ سنة ١٩١١ إلى مرحلة أخرى من النظام . فقد أوضح القانون واجب الجامع الأزهر في حيث القيام على حفظ الشريعة الغراء وفهم علومها ونشرها على وجه يفيد الأمة ويخرج

علماء يوكل إليهم أمر التعليم الديني ويلون الوظائف الشرعية في مصالح الأمة ، وقد زيد في هذا القانون من اختصاصات شيخ الجامع الأزهر فهو زيادة عن كونه الامام الأكبر لجميع رجال الدين والرئيس العام للتعليم فيه وفي معاهد الملحقه به فهو المشرف الأعلى على السيرة الشخصية للملائمه لشرف العلم والدين بالنسبة إلى من ينتمى لجميع المعاهد من أهل العلم وحملة القرآن الشريف من مصريين وغير مصريين . وهو المنفذ الفعلي العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الأزهر والمعاهد .

وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخ بالجامع الأزهر وكذا لكل معهد من المعاهد الأخرى وأجيز تعيين وكيل للجامع والكليات عند مسيس الحاجة ، وجعل لكل قسم من أقسام الأزهر شيخ ومراقبون وكتبه ، أما إنشاء الوظائف فيكون من إختصاص مجلس الأزهر الأعلى .

وأنشئ للأزهر مجلس تحت إدارة شيخة ورئاسته ، كما أنشئت مجالس إدارة مماثلة للمعاهد التابعة للأزهر . وقد أنشئ مجلس الأزهر الأعلى من شيخ الجامع بصفته رئيسا ومن أعضاء ثمانية هم شيخ السادة الحنفية وشيخ السادة المالكية وشيخ السادة الشافعية وشيخ السادة الحنابلة ومدير عموم الأوقاف المصرية وثلاثة ممن يكون لوجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم وحسن انتظام إدارته بشرط أن يكونوا حائزين للصفات

الملائمة لحالة الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى ، ويكون تعيينهم بإرادة سنية بناء على قرار مجلس النظار . وفي غياب شيخ الجامع ينوب عنه في الرئاسة شيخ السادة الحنفية .

وقد عدلت تلك المادة في القانون رقم ٦ لعام ١٩١٦ وزيد فيها (ولرئيس المجلس أن يدعو شيوخ المعاهد الأخرى لحضور الجلسات التي يحصل فيها نظر مسائل التعليم المتعلقة بمعهد كل منهم ويكون رأيهم استشارياً ، فإذا اجتمعت مشيخة الأزهر ومشيخة أحد المذاهب الأربعة في شخص رئيس المجلس الأعلى فيكون وكيله في مشيخة مذهبه عضواً قانونياً في المجلس لتمثيل أهل هذا المذهب)

وقد حدد قانون عام ١٩١٦ اختصاصات مجلس الأزهر الأعلى فجعل له حق وضع الميزانية العمومية للجامع الأزهر والمعاهد الدينية الأخرى وإنشاء المعاهد الدينية العلمية الإسلامية . وكثير من الاختصاصات التي ألغيت بقانون عام ١٩١٦ . وجدد موعد انعقاد مجلس الأزهر الأعلى مرة كل شهر على الأقل بدعوة من الرئيس ولشيخ الجامع عقده أكثر من ذلك إذا دعا الحال . وكان المجلس ينعقد عند الضرورة تحت رئاسة سمو الخديو عباس الثاني ، وقد ألغى هذا النص بعد ذلك .

وقرارات مجلس الأزهر الأعلى تكون بأغلبية الآراء فإن تساوى الفريقان فالأرجحية للفريق الذي فيه الرئيس كما حدد القانون اختصاصات مجلس الإدارة في كل معهد من المعاهد بتحضير ميزانية المعهد الخاصة وتعيين المدرسين والمراقبين وتقرير الكتب الدراسية وتوزيع العلوم على المدرسين وتوزيع

ما يرد من النقود على المعهد . ومجلس الإدارة ينعقد كل أسبوع بدعوة من الرئيس ، أما مفتشو الجامع والمعاهد فقد كان تعيينهم من قبل الجامع الأزهر نفسه .

وقد طرأ على هذا القانون كثير من التعديلات فى عام ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، شملت مجلس إدارة الجامع الأزهر وشروط العضوية فيه والعلوم التى تدرس فى الجامع وتقسيم التعليم إلى أولى وثانوى وعال . وقد أنشئ قسم التخصص فى قانون عام ١٩٢٣ .

الملك فؤاد والازهر

تبين لنا مما سبق أن الأزهر قد لقي منذ إعتلى عرش مصر محمد علي باشا الكبير كثيراً من ضروب العطف والعناية والاصلاح ، كان أعظمها ما تم في أيام اسماعيل العظيم ويليهِ عباس الثاني ، زمن أن توالَت القوازين واللوائح التي لم تمس جوهر التعليم ولا حرية الطالب في اختيار الشيخ الذي يدرس عليه ولا حرية الاستاذ في اختيار الكتاب الذي يدرسه .

ولكن لم يكن للأزهريين مناصب في الدولة وقفت عليهم أو وظائف خصصت لهم دون سواهم ، بل كان للأزهر وحده المدرسة الجامعية التي تؤخذ منها الكفايات في مناصب القضاء والفتيا وأعمال الدولة ومشى الزمان وتخصصت الاعمال وتنوعت المدارس فاستغنى عن الأزهريين في الناحية العامة والوظائف الادارية . وما ختم عهد اسماعيل حتى كان الأزهر مقصوراً على وظائف الفتيا والقضاء حتى الاخير كاد أن يسلب منه ، ولم يمنع ذلك إلا ما قام به الأزهريون من اجتماع صارخ وهياج بلغ أشده . ولا شك أن هذه الفترة من حياة الأزهر إلى

وقت صدور قانون ١٨١١ كانت فترة تسامح ، إذ لم يكن الأزهر في هذه الآونة قد استقر إلى قرار ، فإن كان الأزهر في هذه الفترة قد أخرج لنا فطاحل عظام أمثال الشيخ الامام محمد عبده وسعد زغلول والشيخ القباني والشيخ علي يوسف ومصطفى الباجوري والشيخ النواوي وغيرهم إلا أن القوانين التي كانت قد صدرت لمصلحة الأزهر لم تصل به إلى حد الكمال ، حتى قيض الله له المليك الراحل فؤاد .

كان الملك فؤاد ملكاً مصلحاً ، وكان في إصلاحه بعيداً عن الاغراض الشخصية لا يقيد أي لون من التعصب . فقد استطاع وهو في سن الخمسين أن يكون لنفسه منهجه الإصلاحى الخاص . وإن كان بعد هذا النهج قد تكون إلى حد ما قبل اعتلاء العرش . وكانت سنواته السابقة حافلة بمختلف المشروعات التي بذل فيها جهوداً شخصية هائلة .

وما كاد يعتلى عرش مصر حتى أظهر رغبة ملححة في إدخال بعض الإصلاحات الضرورية على الأزهر باعادة النظر في قوانينه ليكون على نظام يكفل للطلاب أن ينالوا قسطاً عظيماً من الثقافة العامة بما لا يتعارض مع طبيعة الأزهر الدينية والعربية ، وتوهمهم للقيام على حفظ الشريعة الغراء أصولها ، وفروعها ، وعلى تعلم اللغة العربية ونشرها على وجه يفيد الأمة ، ويعدهم لتدريس هذه العلوم في المعاهد الدينية ومدارس الحكومة وتولى الوظائف الشرعية في الدولة .

والواقع أن العلوم التي كانت تدرس في الأزهر لم تكن تتفق مع العصر الحديث ، مما جعل الملك فؤاد يفكر جدياً في إدخال بعض

التعديلات على برامج الدراسة وإدارة الأزهر ، فلتقى هذا الإصلاح صعوبات وعقبات جمة يرجع بعضها إلى تمسك بعض رجال الأزهر أصحاب المدرسة القديمة بما للأزهر من عوائد وتاريخ ، والذين تطلعوا إلى تلك الإصلاحات في غير اطمئنان ، وكان لهم من جمودهم ما حملهم على النظر إليها في هذه الصورة . ويرجع البعض الآخر إلى ظروف مادية .

ولكن الملك فؤاد لم يتردد رغم هذه الظروف في تنفيذ ما كان يراه من إصلاحات خطوة بخطوة . فأصدر كما أسلفنا عدة قوانين عام ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ كما أصدر في ٢٤ جمادى الآخرة عام ١٣٤٩ هـ (١٥ نوفمبر عام ١٩٣٠ م) مرسوما بقانون رقم ٤٩ بإعادة تنظيم الأزهر والمعاهد الدينية والكليات وبدء العمل به في عام ١٩٣١ م .

بدأ القانون بإصلاح مجلس الأزهر الأعلى الذي كان حجر عثرة في سبيل كل إصلاح يدق باب الأزهر فأدخل على طريقة تكوينه وإصلاحه ألوانا من الإصلاح ملهوسة . كما أنشئ بجانب الأزهر كثير من المعاهد في عواصم الأقاليم وإن كانت لم تصل إلى مكانة الجامع الأزهر أو معهد طنطا . وقد لاحظ الملك فؤاد أن كثيراً من الطلاب يفضلون الالتحاق بهذين المعهدين . فحارب جلالته هذه النزعة ليخفف الضغط على الأزهر والمعهد الأحمدي ، فأنشأ معهدى الزقازيق وأسيوط في أبنية رائعة فاخرة تسع كل منها ما يزيد على ألف طالب . كما تكلف كل بناء منها ما ينوف على الأربعين ألفاً من الجنيهات .

وكان من أهم مميزات الجامعة الأزهرية أنها انفردت بجمعها بين مراحل التعليم الثلاث ، الابتدائي والثانوى والعالى ، بينما كانت المعاهد الأخرى قاصرة على المرحلتين الابتدائية والثانوية .

وكان قانون ١٩١١ يخول للمعاهد الأخرى حق تدريس مقرر المرحلة العليا ، ولكنه اشترط أن يعقد الامتحان لنيل شهادة العالمية فى القاهرة . غير أنه سرعان ما اتضح أن هذا التغيير الجديد قد لقي صعوبة عنيفة لضعف مستوى طلاب المعاهد الفرعية ضعفاً بينا ، فطلب جلالته إلى مجلس الأزهر الأعلى أن يدرس الأمر ويبدى رأيه فيه ، فاستقر الرأى على تركيز مرحلة الدراسة العليا فى الجامعة الأزهرية فى القاهرة ، ثم صدرت بعد ذلك عدة قوانين ضم بمقتضاها إلى الأزهر كثير من المدارس الخاصة كمدرسة القضاء الشرعى ومدارس المعلمين الأولية .

والحقيقة أن الملك فؤاد خطا بالأزهر خطوات كبيرة ثابتة ، فنراه يحاول تخفيف المركزية التى كان يمتاز بها الأزهر ويستبدلها باللامركزية التى أفادت الطلاب أكبر فائدة ، فأكثر من إنشاء المعاهد فى الأقاليم وساعدته على ذلك وزارة الأوقاف التى ساهمت بكل ما أمكنها من مال وجهد فى بناء تلك المعاهد ، كما أجاز أن تنشأ معاهد أخرى بمرسوم وأنشأ أقساماً عامة الغرض منها سد حاجة من يريد التوسع فى معرفة أحكام الدين أو اللغة العربية ويتولى إدارة هذه الأقسام شيخ الجامع الأزهر طبقاً للنظم التى يقررها مجلس الأزهر الأعلى ، وأنشئت على

إثر ذلك أقسام عامة بالقاهرة وطنطا والمنيا وسوهاج وقنا ، كما أمر بتشكيل هيئة كبار العلماء من ثلاثين عالما برياسة شيخ الجامع الأزهر ، واشترط لعضويتها أن يكون حائزا لشهادة العالمية مع لقب أستاذ من مدة لا تقل عن خمس سنين وأن يكون مشهودا له بالورع والتقوى وألا يقل سنه عن خمس وأربعين عاما ، وأن يكون قد ألف كتابا قيما في مادة مقررة بالكليات وأن يكون قد اشتغل بالتدريس في الكليات أو بالقضاء من درجة شيخ معهد وأن تقبله هيئة كبار العلماء بالأغلبية المطلقة . وأجاز فصل العضو إذا حدث منه ما لا يناسب وصفه عالما ومحو اسمه من سجل العلماء ويجوز إعادته بعد عشر سنين من قرار فصله ، كما أجاز القانون المذكور لشيخ الجامع الأزهر حضور مجلس إدارة الكليات والمعاهد .

وقد جعل هذا القانون التعليم في الأزهر أربع مراحل :

(١) إبتدائي ومدته أربع سنين ويدرس فيه من المواد ما يلي :

الفقه ، والأخلاق العربية ، والتجويد ، وحفظ القرآن الكريم ، والتوحيد ، والسيرة النبوية ، والمطالعة والمحفوظات ، والإنشاء ، والنحو ، والصرف ، والاملاء ، والخط ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والحساب ، والهندسة العملية ، ومبادئ العلوم ، وتديير الصحية ، والرسم .

(٢) ثانوى ومدته خمس سنوات ويدرس فيه من المواد ما يلي :

الفقه والتفسير ، والحديث ، والتوحيد ، والقرآن الكريم ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة (البيان والبديع والمعاني) ، والعروض والقافية ، والمطالعة ، والمحفوظات ، والإنشاء ، وأدب اللغة ، والرياضة

الحساب والهندسة والجبر والعلوم (الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي) والمنطق والتاريخ والجغرافيا والأخلاق، والتربية الوطنية .

(٣) عال ومدته أربع سنوات وينقسم إلى ثلاث كليات :

(أ) كلية اللغة العربية ويدرس فيها من المواد ما يلي :

النحو والوضع والصرف والمنطق وعلوم البلاغة والآداب العربية وتاريخها وتاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ الأمم الإسلامية والتفسير والحديث والأصول والإنشاء وفقهاء اللغة .

(ب) كلية الشريعة ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التفسير والحديث متساو ورجالا ومصطلحا وأصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي والفقه مع مقارنة المذاهب في المسائل الكلية وحكمة التشريع وآداب اللغة العربية وعلوم البلاغة والمنطق .

(ج) كلية أصول الدين ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التوحيد مع إيراد الحجج ورفع الشبه خصوصاً الذائع في العصر منها والمنطق والمناظرة والفلسفة مع الرد على ما يكون منافياً للدين منها والأخلاق والتفسير والحديث وآداب اللغة العربية وتاريخها وتاريخ الإسلام وعلم النفس وعلوم البلاغة .

٤- التخصص وهو على نوعين : تخصص في المهنة وتخصص في المادة

والغرض من التخصص في المهنة هو :

اعداد علماء يقومون بمهنة الوعظ والارشاد أو الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والإفتاء والمحاماة ، أو التدريس في المعاهد الدينية

ومدارس الحكومة ،

والغرض من التخصص في المادة : إعداد علماء متفوقين في العلوم الأساسية لكل كلية من الكليات الثلاثة ويعين حاملو شهادة هذا القسم في وظائف التدريس بالكليات وبأقسام التخصص .

وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم تتوافر فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية . وكذلك أفراد الجمهور للتوسع في دراسة اللغة العربية والعلوم الدينية .
الشهادات :

والشهادات التي تعطى للناجحين في الامتحانات النهائية هي :

١ - الشهادة الابتدائية :

تمنح لمن أتموا دراسة القسم الابتدائي وتحول صاحبها الاندماج في القسم الثانوي للقسم الأول

٢ - الشهادة الثانوية للقسم الأول :

يمنح لمن أتموا دراسة السنوات الأولى والثانية والثالثة في القسم الثانوي وتحول صاحبها الاندماج في القسم الثانوي للقسم الثاني :

٣ - الشهادة الثانويه للقسم الثاني :

تمنح لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالي . والحائزون لها يكونون أهلا للتوظيف في الوظائف الكتابية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم الشرعية والمجالس الحسينية والأوقاف والتدريس في المساجد ولوظائف الخطابة والإمامة والمأذونية .

(٥) شهادة العالمية :

تمنح لمن أتموا دراسة التخصص في مهنة التدريس أو القضاء الشرعي أو الوعظ والارشاد؛ والحائزون لها في قسم التخصص في مهنة التدريس يكونون أهلا للتدريس في المعاهد الدينية وفي مدارس الحكومة؛ والحائزون لها من قسم التخصص في القضاء يكونون أهلا للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والافتاء والحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسينية. والحائزون لها من قسم التخصص في الوعظ والارشاد يكونون أهلا لوظائف الوعظ والارشاد.

٦ - شهادة العالمية مع لقب أستاذ :

تمنح لمن تخصص في مادة من المواد؛ والحائزون لها يكونون أهلا للتدريس في الأزهر وفي أقسام التخصص.

مجلس الأزهر الأعلى :

قضى القانون الجديد بتأليف هيئة تشريعية لها حق النظر في اللوائح والقوانين التي تلزم لسير دراسته والإدارة وغيرها في الأزهر والمعاهد الدينية، وتسمى تلك الهيئة (مجلس الأزهر الأعلى) وهو يؤلف من:

(١) شيخ الجامع الأزهر .

(٢) وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية وله رئاسة المجلس عند

غياب شيخ الجامع الأزهر

(٣) مفتي الديار المصرية

(٤) مشايخ الكليات الثلاث

(٥) وكيل وزارة العدل

(٦) » » الأوقاف

(٧) » » المعارف

(٨) » » المالية

(٩) اثنين من هيئة كبار العلماء ويعينان بأمر ملكي لمدة سنتين .

(١٠) اثنين ممن يكون في وجودهم بالمجلس مصلحة للتعليم بالأزهر

والمعاهد الدينية ويعينان يرسم لمدة سنتين .

المعاهد الدينية التابعة للأزهر .

أطلق إسم الجامع الأزهر في القانون على كليات التعليم العالي وعلى

أقسام التخصص .

ويطلق إسم المعاهد الدينية على معاهد التعليم الديني الاسلامي التي

يكون التعليم فيها بقصد تفقه الطلاب في دينهم وفي اللغة العربية وإعدادهم

لدخول الجامع الأزهر .

والتعليم في هذه المعاهد ابتدائي وثانوي

وكانت المعاهد الدينية المنشأة هي :

(١) المعهد الأزهرى بالقاهرة : إبتدائي وثانوي

(٢) معهد الاسكندرية : » »

(٣) معهد الزقازيق : إبتدائي وثانوي

(٤) » أسيوط : إبتدائي وثانوي

(٥) » دسوق : إبتدائي

(٦) معهد طنطا : إبتدائى وثانوى

(٧) معهد دمياط : إبتدائى

وكان لصدور هذا القانون وإنتشار أنبائه وقع حسن فى نفوس المسلمين فى عامة الأقطار. فابتدأت البعثات تتوارد وتتابع من الصين وبولونيا وألبانيا والهند وغيرها للاغتراف فى هذا المنهل العذب ، كما أخذت الجامعات الكبرى تتصل بالأزهر وكان آخرها عهداً جامعة غرناطة التى لى الأزهر دعوتها إلى الاحتفال بمرور القرن الرابع على تأسيسها .

الملك فاروق والأزهر

سار جلاله الملك فاروق على نهج والده الراحل العظيم الملك
فؤاد ، فشمل الأزهر برعايته وعطفه وأغدق عليه من نعمه وبره ؛
فأصدر الكثير من المراسيم والقوانين لرفع مكانته وإعلاء شأنه فنظمت
إدارته وإدارة أوقافه وفرش صحنه بالسجاد الثمين وزاد في عمارته وأصلح
ما تلف من بنائه كما قرر لعلمائه وأساتذته المرتبات العالية فوضع لهم
منذ أعوام كادراً خاصاً بهم ، فأنصفوا بعد إجحاف وأعطى لمؤهلاتهم
حقها من التقدير الأدبي والمادى وأصبح لكل عالم الحق في أن يعين
في الدرجة السادسة بل أصبح من رؤساء المعاهد من هو في الدرجة
الثالثة .

كما أبدى حفظه الله عظيم الاهتمام بطلبة الأزهر خصوصاً الغرباء
منهم ، فقد أجرى عليهم المنح والعطايا وأجزل لهم الهبات أثناء الحرب
العالمية الأخيرة وفي وقت انقطعت فيه سبل المواصلات فانقطع بذلك
ما كان يصلهم من أهليهم من رواتب ونقود ، فعطف عليهم العطف كله
وساعدهم على مواصلة دروسهم والمضى فيها في اطمئنان تام .

وتحول الأزهر في عهده السعيد إلى جامعة إسلامية حديثة حقبة ،
فابتدأت طريقة الحلقات الدراسية العتيقة في الانقراض واستعوض
عنها بطريقة إلقاء الدروس في حجرات دراسية على النمط المتبع في
الجامعات العصرية ، كما أدخل إلى الأزهر الكثير من اللغات الأجنبية
كالإنجليزية والفرنسية واللاتينية . ولم يقتصر التدريس في الأزهر على
علمائه ، بل أراح الأزهر عنه ثوب الجمود القديم الذي لازمه عصوراً
طويلة ، وهجر الفكرة القديمة بأن لا يتصدر للتدريس فيه إلا من تخرج
منه ، فسمح في السنين الأخيرة لكثير من خريجي الجامعة المصرية
والمعاهد الأجنبية . باقتحامه والتدريس فيه ، ودرسوا الطلبة اللغات
الأجنبية والجغرافيا والتاريخ والطبيعة والكيمياء والهندسة والجبر
والحساب ، بل عين عدد كبير منهم في المعاهد الأزهرية المختلفة .
فأصبحت الجامعة الأزهرية تضاهي أعظم جامعات العالم لما تحتويه من
لغات قديمة وحديثة .

وحظي الأزهر في زمن الفاروق بكثير من الإصلاحات ، فزيد
عدد معاهده ، وأنشئ معهدا قنا وشبين الكوم كما خصص في ميزانية
هذا العام مبلغا كبيرا لإنشاء معهد جديد في مدينة سوهاج وهكذا سنة
بعد أخرى تنمو هذه الجامعة وتكبر فيزداد إقبال الطلاب عليها حتى
أرقي عددهم على إثني عشر ألفا من جميع الاقطار والأجناس ففيها من
بلاد طرابلس وتونس والجزائر ، ومراكش والسودان والحبشة

والصومال وبرتو وجنوب أفريقية والشام والعراق والحجاز ونجد واليمن
وجاوة والهند والصين وروسيا والقوقاز والأناضول وكرديستان
وأفغانستان وتركيا وألبانيا ويوغوسلافيا وبولونيا وبلغاريا وأمريكا .
ولا ريب أنه انقلاب خطير ذلك الذي أصاب الأزهر في العصر
الآخر فحول مجرى حياته وأسبغ عليه طابعاً جديداً . إذ لم يبق من
الجامع الفاطمي القديم الذي عرفناه في أول السكتاب سوى صرحه
الجليل الذي ما زال قائماً في نفس المكان الذي اختاره له منشئه الأول
القائد الكاتب أبو الحسن جوهر الصقلي وزير المعز لدين الله الفاطمي .
ولا بد لنا هنا من أن نقرر حقيقة واقعة هي أن الإصلاح الحقيقي
للأزهر بل الانقلاب الواقعي لنظام الأزهر القديم ومناهجه ورسومه
وتقاليده وعوائده وروحه التي كانت سائدة فيه ، قد ابتدأ فعلاً من زمن
خديو مصر العظيم اسماعيل ووصل إلى أوجه في عصرنا الحاضر ، عصر
الفاروق . فقد خلع الأزهر رداءه العلي العتيق واستبدله برداء جميل
جديد من نسيج حديث لم يكن له به عهد ، فبدلنا الأزهر جامعة عصرية
تجمع كليات حديثة منظمة على أحدث الطرق الأوروبية . وهو وإن لم
كن قد وصل بعد إلى طريق الاستقرار والوضوح ، فقد نظمت الدراسة
فيه وفي معاهده في مراحل عدة وأنشئت معاهد جديدة وأجازات تخصص
وأعدت للطلبة أبنية صحية جميلة للدرس والسكنى ، بدل تلك الأروقة

والحارات التي كانت تنقصها الكثير من شروط الصحة والنظافة والفرش
الوفير .

وقد وضع أخيرا تصميما لمشروع إنشاء مدينة جامعية أزهرية في
حي الأزهر لإنشاء مساكن على نطاق واسع تسع جميع الطلبة كما عمل
تصميم لإنشاء مكتبة عامة تجمع ما تكدر من كتب قيمة ومؤلفات
ومخطوطات ثمينة بدل تلك التي تضيق بما فيها من كتب وتفتقر إلى قاعة
مطالعة فسيحة ،

ويجب ألا ننسى ذكر ما أدخل على برامج التعليم من التغييرات
والتعديلات والكثير من المواد العصرية الصالحة كتاريخ التشريع
والنظام الدستوري ومبادئ الاقتصاد ونظم التربية والاخلاق وعلم
النفس واللغات الأجنبية والشرقية، كما أرسل عدد عظيم من خريجي
الجامعة الأزهرية في بعثات إلى باريس ولندن وبرلين . وقد عاد بعض
هؤلاء الطلبة إلى الأزهر لينشروا فيه ما تلقوه في تلك المعاهد من علوم
حديثة وأفكار جريئة .

وقد تغلغت الروح العصرية الحديثة تغلغلا شديدا في الأزهر
وتكونت فيه فرق متعددة للألعاب الرياضية ككرة القدم والسياحة
والألعاب السويدية . بل اندمجوا في سلك التدريب العسكري مرتدين
الملابس العسكرية متطوعين في سلك الجيش مع أنهم معفون من الجندية .
ومما لا شك فيه أن الأزهر بحاله القديم لم يكن يصلح لأيماننا
الحاضرة ، بل كان عليه أن يتغير ويتبدل وأن يقع تحت أدوار متتابعة

من الإصلاح والتجديد ليسير مع الزمن وليجاري دائماً وباستمرار روح العصر الذي هو فيه ليسهر على ما فيه من علوم أساسية وآداب عريضة هي تراث مصر بل أثن تراث ورثته عن السلف وليصون هذا التراث الثمين بين جدرانه من أن يعبث به عابث أو أن يضع بين زوايا التاريخ .

وقد وضع الفاروق تلك الغاية دائماً نصب عينيه ، فهو يحاول جاهداً أن يرفع من شأن هذا المعهد العتيق وأن يبعد عنه الجمود القديم الذي اشتهر به ولازمه مدة طويلة .

فعندما خلا مكان شيخ الجامع الأزهر عقب وفاة المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى أراد حفظه الله أن يختار مكانه رجلاً فاضلاً ، يعلى من شأن الجامع والدين ويحفظ ماله من هبته قديمة وتاريخ مجيد ويسير به قدماً نحو التقدم والارتقاء . فلم يجد من يستطيع حمل تلك الأمانة إلا رجلاً كالشيخ مصطفى عبد الرزاق باشا الذي كان وزيراً للأوقاف العمومية في ذلك الوقت .

ولكن القانون لم يكن يسمح بتعيينه شيخاً فقد اشترط فيمن يعين شيخاً للجامع الأزهر كما أسلفنا أن يكون من هيئة كبار العلماء وأن تقبله تلك الهيئة بالأغلبية المطلقة وأن يكون قد اشتغل بالتدريس في الكليات أو القضاء من درجة شيخ معهد ، وأن يكون قد ألف كتاباً قيماً في مادة مقررة بالكليات . ولم يكن الشيخ مصطفى عبد الرزاق حائزاً لكل تلك الشروط . فرأى جلالة الملك ، بماله من رأى حصيف وخبرة واسعة

أن لا يحرم الأزهر من رجل ذى شخصية فريدة عظيمة كالشيخ مصطفى عبدالرازق . فأسند إليه جلالته رئاسة الجامع الأزهر مكتفياً بما عرف عن الشيخ عبد الرازق من سمعة طيبة وكونه حائزاً للشهادة العالمية الأزهرية وأنه قام بالتدريس مدة ليست بالقصيرة بجامعة فؤاد الأول وله مؤلفات قيمة فى الفلسفة والأدب والتاريخ . وقد طلب الشيخ مصطفى من جلالته الفاروق عند تعيينه أن يعفيه من حمل لقب الباشوية تواضعاً وذلك لأنه لم يجر العرف فى أن يحمل شيخ الجامع الأزهر أى لقب من القاب التشریف سوى لقب شيخ فأعفاه جلالته منها .

والحقيقة أن الملك فاروق خطا بالأزهر خطوات كبيرة ثابتة ورفع من مكانته كجامعة عربية إسلامية ، ونهض بالأزهر نهضة قوية فارتفع صيته .

كما حظى الأزهر عدة مرات بزياراته الكريمة وتأييده فريضة الجمعة فيه وحضوره بعض الدروس الدينية التى كان يلقيها بين يدى جلالته فى رمضان من كل عام شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله .

شيوخ الأزهر

كان شيوخ الأزهر يختارون من أئمة العلماء وأكثرهم علما وتقوى ، على أننا نجد بين هؤلاء الشيوخ رجالا ذوى قيمة كبيرة وآخرين لا شأن لهم . فكان بعضهم من ذوى المواهب الإدارية . ولكنه لم يكن له فى العلم مقام كبير على حين أن البعض الآخر كان له مقام فى العلم دون الإدارة .

لم يكن للأزهر شيخ قبل العصر التركى ، بل كان على رأسه ناظر ينتخب من بين كبار موظفى الأزهر فأُنشئ هذا المنصب أثناء الحكم العثمانى لمصر ، لىكون شاغله رئيسا لجميع شيوخ الأزهر وهمزة الوصل بينهم وبين الوالى الذى كان له الشأن الأوحد فى تعيين الشيخ وانتخابه يتعده بإنفاذ كلمته وإبعاد العناصر الساعية إلى الفتنة والفوضى . وكان للشيخ مطلق الحق فى معاقبتهم بالطردهم من الجامع أو النفى إلى بلادهم منعا للشر والإضطراب .

وكان لنفوذ الباشوات أثر كبير فى تعيين مشايخ الأزهر مما أدى إلى

الكثير من القلاقل بين أتباع المذاهب المختلفة ، والشيوخ كانوا يعينون
لمدد متفاوتة وإنزالهم من المشيخة رهن مشيئة الحاكم التركي وقد حفظ
لنا الجبروتى أسماء شيوخ الأزهر من عام ١١٠٠ هـ فأول من تولى
المشيخة هو :

(١) الشيخ محمد بن عبد الله الخرشى المالكي الذي كان على جانب
عظيم من العلم والصلاح والتواضع ، له شرحان على مختصر خليل وكتاب
في البسمة ، توفي في ١٧ ذى الحجة عام ١١٠١ هـ ثم

(٢) الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى الشافعى كبير علماء الشافعية في
زمنه والمتوفى عام ١١٠٦ هـ ثم

(٣) الشيخ محمد النشرتى المالكي . من بلدة نشرت بمديرية الغربية ،
ولما توفي عام ١١٢٠ هـ نشب خلاف شديد بين

(٤) الشيخ احمد النفراوى وبين

(٥) الشيخ عبد الباقي القلبنى بسبب المشيخة والتدريس بالمدرسة
الاقبغاوية ، وانقسم المجاورون قسمين ، قسم يؤيد الشيخ النفراوى وقسم
يؤيد الشيخ القلبنى الذى لم يكن بمصر وقت الفتنة . فلما أراد الشيخ
النفراوى التدريس بالمدرسة ، منعه القاطنون بها . ثم حضر الشيخ
القلبنى إلى القاهرة ، فذهب جماعة النفراوى إلى الأزهر ليلا حاملين
البنادق وأطلقوها على جماعة القلبنى وأخرجوهم قوة من المدرسة
وأجلسوا الشيخ النفراوى مكان القلبنى . فحدثت معركة شديدة بين
الجمعين قتل أثناءها عشرة من جماعة النفراوى غير الجرحى وانتهت

الجزائن وتسكسرت القناديل . فلها حضر الوالى هرب المجاورون فأمر
بإخراج جثث القتلى ،

وذهب النفر اوى فى اليوم التالى إلى ديوان الوالى شاكيا كثرة ماقتل
من جماعته وما أتلف من أروقتة ، فرفض الوالى أن يصغى إليه وأمره
أن يلزم بيته كما أمر بنفى الشيخ احمد شنين أحد زعماء الحركة إلى بلدته
وحبس عددا كبيرا من المجاورين وعين الشيخ القلبنى شيخا للجامع
الازهر فلها مات تولاهما

(٦) الشيخ محمد شنن المالكي المتوفى عام ١١٣٣ هـ وكان واسع
الثراء يقتنى الكثير من المماليك والجوارى وعند موته ترك لولده ثروة
كبيرة قدرت بأربعمائة ألف بندق ذهب خلاف الخزلى والطرلى وكثير
من الفضة والأملاك والضياع ، ولكن ابنه كان متلافا فبدها كلها
ومات مدينا . ثم تولى المشيخة

(٧) الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى المالكي المولود عام ١٠٦٢ هـ
والمتوفى عام ١١٣٧ هـ .

وقد تولى على المشيخة بعده كثير من العلماء المالكية أشهرهم الشيخ
شهاب الشبراملى والشيخ الزرقانى والشيخ الشيشينى والشيخ الفرماوى
ثم انتقلت المشيخة بعد ذلك إلى الشافعية فتولاهما :

(٨) الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوى المولود عام ١٠٩٢ هـ
والمتوفى عام ١١٧١ هـ وكان من بيت علم وفضل شاعرا أديبا . وكان
يسكن داراً عظيمة على بركة الأزبكية بالقرب من الرويعى ، وكان ذو

ولع شديد باقتناء الكتب النفيسة والتحف ، وقد ترك آثاراً أدبية هامة أشهرها كتاب مطامح الألفاظ في مدائح الأشراف وكتاب شرح الصدر في غزوة أهل بدر . وترك كذلك ديواناً كبيراً من الشعر وكان يجمع بين المشيخة والخطابة في جامع سراي الحاكم التركي ثم تولى المشيخة بعده عام ١١٧١ هـ

(٩) الشيخ محمد بن سالم الحنفى الخلقى الشافعى المولود عام ١١٠٠ هـ والمتوفى ١١٨١ هـ وكان عالماً تقياً ترك مؤلفات عظيمة في الحديث والعقائد والفرائض والجبر ثم تولاها

(١٠) الشيخ عبد الرؤوف بن عبد الرحمن السجيني وتوفى عام ١١٨٢ هـ فتولاها ،

(١١) العلامة الشيخ احمد عبد المنعم الدمهورى المولود عام ١١٠١ هـ وتوفى عام ١١٩٠ هـ فحدث نزاع على المشيخة استمر سبعة أشهر بين

(١٢) الشيخ عبد الرحمن بن عمر العريشى الحنفى المتوفى عام ١١٩٣ هـ

(١٣) والشيخ احمد العروسى الشافعى المولود عام ١١٣٢ هـ والمتوفى عام ١٢٠٨ هـ وانتهى الأمر بتوليته المشيخة

وذلك أنه لما زاد المرض على الشيخ الدمهورى ، طمع الشيخ العريشى فى اعتلاء المشيخة فتحايل على ذلك بأن ذهب إلى الأزهر ومعه شيخ البلد ابراهيم بك ، فجمع العلماء والفقهاء وأخبرهم بأن الشيخ الدمهورى وقد اشتد عليه المرض قد أقامه وكيلا عنه فى المشيخة حين برئه ، ثم مات الدمهورى بعد عدة أيام فتولى الشيخ العريشى المشيخة

بعد أن استمال إليه عدد كبير من الأمراء والكبراء .

ولكن ذلك لم يرض الشيخ العروسي . فرغ الكثير من السرائض إلى شيخ البلد والأمراء والأعيان وأيده الكثير من علماء الجامع وأئمة . وادعى أحقية المشيخة لأصحاب المذهب الشافعي لا الحنفي وأن في علماء الشافعية من هو أحق بها ، بل أن الشيخ العروسي نفسه أحق بها من غيره . ولكن الأمراء بدعوى أن الوالي والوزير من أصحاب المذهب الحنفي رفضوا الإصغاء إليه . فنتجم عن ذلك حزبين ، حزب الأمراء والشيخ العريشي ، يعاونهم طائفة الشوام والمغاربة وحزب الشيخ العروسي الذي تمكن من الوصول إلى إقناع إبراهيم بك شيخ البلد بأحقية في المشيخة فاضطر أنصار الشيخ العريشي إلى حراسة أبواب الأزهر لمنع أنصار الشيخ العروسي من الدخول .

وبعد سبعة أشهر ، حدث أن قام نزاع شديد بين الأتراك والشوام من المجاورين ، فأنضم الشيخ العريشي لطائفة الشوام من بني جنسه ، فأغضب مسلكه الأمراء وتخلوا عنه فاضطر إلى الاختفاء عن الأنظار فعزل من الإفتاء ، وحضر أفا قصر شيخ البلد والشيخ العروسي إلى الأزهر وحاولا القبض على المجاورين الشوام ولكنهم كانوا قد أخلوا رواقهم وأغلقوه . ثم تم الصلح بين الأتراك والشوام فثبت الشيخ العروسي في مشيخة الأزهر وأصدر شيخ البلد أمر العريشي بملازمة بيته فبقي فيه إلى أن مات عام ١١٩٣ هـ حزنا وأسى

ولم يكن عهد الشيخ العروسي في المشيخة عهداً هادئاً ، بل كثرت

فيه الفتن والقلاقل ، فقد حدث عام ١١٩٩ هـ أن قطعت رواتب جراية فقراء المجاورين القاطنين بالأزهر ، فثاروا وأغلقوا أبواب الجامع ومنعوا منه صلاة الجمعة كما أغلقوا المدرسة المحمدية والمسجد الحسيني ، وخرج المجاورون العميان والسوقة يعيشون في الأسواق فسادا ، فنهوها ولم يهدأوا حتى حضر أغا القصر سليم أغا مستحفظان ووعدهم باعادة أرزاقهم ورواتبهم اليهم .

ولكن حدث في العام نفسه أن هاجم حسين بك المعروف باليهودي المنازل ونهب كل ما كان فيها من فرش ومصاغ ومال ، فثار أهالي الحسينية يقودهم الشيخ الدردير وأغلقوا الجامع وصعد بعضهم على المنارات يدقون طبولهم ، وانتشر معظمهم في الأسواق فأغلقت الحوانيت ، فلما جاء المساء ذهب سليم أغا ومحمد كتحدا — كتحدا إبراهيم بك — إلى الشيخ الدردير طالبين إليه إيقاف الثورة ، فقدم لهم الشيخ الدردير كشافا بالمنهوبات فرفعه الأغا إلى شيخ البلد .

وتكررت تلك الحوادث عدة مرات ، فقد كان عصر إبراهيم بك عصر فوضى واعتطهاد وسرقة وعدوان سواء كان ذلك صادرا عن الوالى أو الأغا أو حسين بك . ثم تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك .

(١٤) الشيخ عبد الله الشراوى الشافعى . المولود في حدود عام ١١٥٠ هـ والمتوفى عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) اشتهر بمصنفاته السكثيرة في الدين والتصوف والتاريخ ، فكان أعظم من تولى مشيخة الأزهر ، وإن كان عهده أكثر اضطرابا من سلفه ، بل أكثر العهود اضطرابا ،

فقد دخلت الجيوش الفرنسية مصر واقتحمت القاهرة واحتلت القلعة وأرسل نابليون إلى مشايخ الأزهر يطلب منهم الشخوص إليه فرفضوا ثم قامت ثورة القاهرة بتحريض العلماء فأطلق نابليون مدافعه من القلعة على الأزهر والحسينية فقتل عدد كبير فركب المشايخ إلى نابليون ، فعاتبهم على مسلكهم نحوه فاعتذروا إليه كارهين طالبين منه الكف عن ضرب المدينة فأوقف إطلاق النار ، بعد أن هاجم الفرنسيون حي الحسينية وأزالوا ما أقامه المصريون في الحواري والأزقة من متاريس ومدافع ، ثم دخلوا الجامع الأزهر بنحو لهم وتفرقوا في صحنة ومقصورته وربطوا خيلهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل وهشموا خزائن الطلبة ونهبوا أمتعتهم وأتلفوا الكتب والمصاحف وطحروها على الأرض وداسوا عليها بنعالهم وأخرجوا من في الأزهر من المجاورين ، إلى أن استعطف المشايخ نابليون فأمر بإخلاء الأزهر من الجنود الفرنسية بعد أن أمر بالقبض على كثير من المشايخ زعماء الحركة وحبسهم في بيت البكري ثم ساقهم عرايا إلى القلعة ثم ضربهم ضرباً مبرحاً وقتلهم رمياً بالرصاص وألقاهم خلف القلعة .

وفي ليلة عيد الفطر وأثناء وجود نابليون بالشام ، اصطف بعض الجنود الفرنسية أمام الجامع الأزهر وطلبوا من شيخه الشرفاوى أن يرفع الرايات والأعلام الفرنسية على منارات الجامع ، فنصب بيرقين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقا وأطلقوا المدافع احتفالاً بذلك .

ثم حدث أن قتل سليمان الحلبي القائد كبير بينما كان يتنزه في قصره بالأزبكية وقبض عليه . وعلم المحققون أن الحلبي يقطن رواق الشوام بالأزهر ، فقبضوا على عدد كبير من طلبته وحكم عليهم ظلماً بقطع رقابهم ، أما القاتل فقد أجلس على خازوق حتى مات . كما أصدر القائد منيو أمراً بتفتيش الأزهر وحرمان الأتراك من دخوله ، فاستمروا لا يدخلونه إلى أن جلى الفرنسيون عن مصر .

ولما توفي الشيخ الشرقاوى دب الشقاق بين المجاورين ، فقد كان بعضهم يزيد ارتقاء المشيخة إلى أن تولى :

(١٥) الشيخ المهدي ، وفي أيامه ظهر في الأزهر بعض اللصوص الذين كانوا يختبئون خلف عمد الصحن ليلاً حتى إذا انفرد أحد الأشخاص هاجموا ونهبوه ، فقبض عليهم الشيخ المهدي وأخرجهم من الجامع ، كما حدث أيامه أن سكن حارات الأزهر كثير من القوادين والنساء سيئوا السيرة فأمر بإخراجهم منه محافظة على كرامة الأزهر وقدسيته ، كما أبطل اختصاص أهل كل مذهب بعمد مخصوصة وأبقى اختصاص كل شيخ بعمود ، وإذا خلا عمود بموت شيخه أو انقطاعه ، فلغيره أن يأخذه ولو لم يكن من أهل مذهبه ، وقد يشترك في العمود شيخان يتبادلان الوقت ، وقد يكون للشيخ عمودان يقرأ في أحدهما صباحاً والآخر مساءً . وكان الشيخ ينوي إدخال الكثير من الإصلاحات لولا المعارضة الشديدة التي قابلها بها مشايخ الأزهر فلازم بيته واستمر

شيخاً للأزهر بالاسم فقط مدة طويلة ، ثم اضطر إلى اعتزال المشيخة
فبعقبه .

(١٦) الشيخ الشنواني المتوفى عام ١٢٣٣ هـ ، ثم
(١٧) الشيخ أحمد العروسي المتوفى عام ١٢٤٥ هـ ، ثم
(١٨) الشيخ أحمد بن علي الدهوجي الشافعي المتوفى عام ١٢٤٦ هـ
وكانت داره برقعة القمح خلف رواق الصعايدة ومدة رئاسته للجامع ستة
أشهر ، ثم تولى بعده

(١٩) الشيخ حسن بن محمد العطار المتوفى عام ١٢٥٠ هـ وكان رجلاً
شاعراً ناثراً مستنبهاً اشتهر بغزارة علمه ، اتصل بعد خروج الفرنسيين
من مصر ببعضهم فتعلم لغتهم وأتقنها مقابل إعطائهم دروساً في اللغة العربية
وقضى معظم حياته متنقلاً في البلاد الأجنبية ، فقد ارتحل إلى الشام
وأقام بدمشق مدة طويلة وزار القدس الشريف وعاش في بلاد الروم
عدة سنوات وسكن بلد أشكوردرة من بلاد الأرثوذكس وتزوج بها ثم
عاد إلى مصر . ولما مات تولى المشيخة

(٢٠) الشيخ حسن القويسني ، وكان كفيف البصر شريف النفس
ذاهبية عند الأمراء والعظماء فلما مات عام ١٢٥٤ هـ تولى المشيخة
(٢١) الشيخ أحمد بن عبد الجواد الصائم الصفي المتوفى عام
١٢٦٣ هـ ، ثم

(٢٢) الشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري أو (البيجوري) المولود
عام ١١٩٨ هـ والمتوفى عام ١٢٧٧ هـ ، وكان عالماً عظيماً وفقهاً فاضلاً ،

وقد حظى الأزهر في أيامه بزيارات متكررة من عباس باشا الأول
والى مصر الذى كان يحضر خصيصه الاستماع إلى ما يلقىه الشيخ الباجورى
من دروس فكان يجلس على كرسي صغير من الجريد ينصت إليه .
وعند خروجه كان ينثر خارج الأزهر شيئاً من النقود الفضية .

وحدث أن ثار على الشيخ الباجورى جماعة من مجاورى رواق
المغاربة وهموا بضربه من أجل رواتب الجراية ، فرفع الأمر إلى الوالى
الذى أرسل الجند إلى الرواق فقبضوا على الثائرين وأمر بنفيهم وغلق
رواقهم .

ثم حدث أيام حكم سعيد باشا أن طلب المجاورون الشبان للانخراط
فى سلك الجندية ولكنهم هربوا واحتموا بأروقة الأزهر . فاضطر
بعض مشايخ القرى إلى الدخول إلى الأزهر للقبض على الفارين .
فهرم الشيخ الباجورى وأمر المجاورين بضربهم وطردهم ، فقتل أحد
مشايخ القرى ولم يعرف قاتله .

ولما كبر الشيخ الباجورى أعجزه كبر سنه عن متابعة القيام
بواجبات المشيخة ، فأصبح الجامع ولا رئيس له ولا مدير ، فتسبب
عن ذلك الكثير من الفتن بين المجاورين ، أهمها ما حدث بين المجاورين
الشوام والصعايدة على مكان الدرس استعمل أثناءها العصى فأصيب
الكثير من الصعايدة باصابات شديدة ، اضطروا معها إلى حمل عصيهم
والهجوم على الشوام الذين احتموا برواقهم وقد أغلقوا بابه عليهم ،
فتسلق عليهم الصعايدة سطح الرواق ، فاستعاث شيوخ الجامع وأعيان

الشوام بخير الدين باشا ضابط مصر ، فأرسل فصيلة جنود إلى الأزهر اقتحمته واعتدت على مجاوري الصعايدة بالضرب بدون تحقيق ، فقاومهم الصعايدة وأخرجوهم من الجامع ، فطلب الجنود المدد وأعادوا مهاجمة الجامع وقبضوا على الصعايدة وسجنوهم بالضبطية . وكان سعيد باشا في ذلك الوقت في الحجاز فلما عاد من الحج وعلم بالأمر ، غمره الغضب وأمر باحضار خير الدين باشا وعنفه ، بل يقال أنه ضربه بجذاه وطرده ، ولم يعمر خير الدين باشا بعد ذلك طويلا ، إذ مات غريبا ، فاتخذ الأزهر عام ١٢٨١ هـ .

(٢٣) مجلساً مكوناً من أربع وكلاء انتخبهم العلماء ، وهم الشيخ أحمد كبوة العدوى المالكي ، والشيخ إسماعيل الحلبي الحنفي ، والشيخ خليفة الفشني الشافعي ، والشيخ مصطفى الصاوي الشافعي ، واستمروا في المشيخة أربع سنوات ، ثم تولاها

(٢٤) الشيخ مصطفى العروسي المولود عام ١٢١٣ هـ ، وكان تقياً مصلحاً فأبطل كثير من البدع التي كانت بالجامع ، ومنع الاستجداء بقراءة القرآن حول الجامع وفي الطرقات ، ومنع غير المستحقين للتصدر للعلم من التدريس ، وله مؤلفات نفيسة في التصوف منها : كشف الغمة ، والعقود الفرائد في بيان معاني العتائد ، والهداية بالولاية . وعزم على إدخال نظام الامتحان في الدراسة ، لولا أن فاجأه العزل عام ١٢٨٧ هـ فانتقلت مشيخة الأزهر إلى الحنفية ، فتولاها

(٢٥) الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي مع الإقتاء وكان بدوره

مصلحا، حائزاً الثقة الخديو إسماعيل وتأييده في جميع ما أدخله على الأزهر من إصلاحات. وقد اضطر خلال الفتنة العراقية عام (١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م) أن يتراجع وقتاً ما أمام الشيخ محمد الانبأى خصمه العنيد، فعزل من المشيخة بناءً على طلب العراقيين، ثم عاد إليها بعد انتهاء الثورة وظل فيها إلى ٣ ربيع الثاني عام ١٣٠٤ هـ حيث استقال من الأزهر والإفتاء. وفي أيامه قلت بالأزهر الشرور والمفاسد وكثرت المرتبات والكساوى والجرأيات التى أعاد ما أهمل منها، وأدخل نظام الامتحان فى الجامع خصوصاً لمن يريد التصدر للتدريس ونفذ شروط جميع الواقفين على الأزهر، ثم عقبه :

(٢٦) الشيخ محمد الإنبأى، وكان عالماً كبيراً ولكنه كان فى الوقت نفسه خصماً عنيداً لكل إصلاح وتجديد، وقد كلفته الحكومة بكتابة تاريخ الأزهر وفقاً للمستندات الموجودة به ولكنه لم يفعل فلما ترك منصبه عام ١٣١٣ هـ خلفه

(٢٧) الشيخ حسونه النواوى الحنفى (١٨٤٠ م - ١٨٩٩ م) وكان من أقرب مريدى الشيخ الإمام محمد عبده وعوناه على تنفيذ إصلاحاته وفى زمنه أنشئت المكتبة الأزهرية وبنى الرواق العباسى، وأكثر من امتحان طالبى التدريس، واستصدر قراراً بإبطال امتحان الحقانبة وطلب زيادة مرتبات العلماء ومشايخ الأروقة والحارات. وحدث فى أيامه أن اجتاحت مصر وباء الكوليرا فأصيب به بعض

المجاورين الشوام فنقلت الحكومة أحدهم إلى إحدى المستشفيات لعلاج
ولكنه توفي ، فلما حاولت نقل آخرين رفض الطلبة واعتدوا على موظفي
المستشفى بالضرب ، فرفع الأطباء الأمر إلى الحكومة فأسرعت بإرسال
قوة من البوليس برئاسة محافظ القاهرة ووكيل الحكمدار لعزل المريض
فرفض المجاورون عزله ونشبت بينهم وبين البوليس معركة حامية أصيب
فيها المحافظ إصابة شديدة فطلب مددا من البوليس واقتحم الجامع بعد
خلع أحد أبوابه وهجم على الشوام المتحصنين في رواقهم وأطلق النار
عليهم فنفروا بعد أن قتل منهم خمسة وقبض على اثنين وثمانين كإقبض
على ثلاثة وعشرين من المجاورين المصريين وحقق معهم فأنحصرت التهمة
في أربعة عشر وأفرج عن الباقي ، أما المتهمين فقد أدينوا وحكم عليهم
بأحكام مختلفة بعضها بالنفي والبعض الآخر بالسجن وأغلق الرواق سنة
كاملة ثم ترك الشيخ النواوى مشيخة الأزهر ، خلفه

(٢٨) الشيخ عبد الرحمن النواوى الحنفي عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م)
ولكنه توفي فجأة بعد شهر واحد من توليته المشيخة ، خلفه في السنة
نفسها :

(٢٩) الشيخ سليم البشري في الخميس ٢٨ من صفر عام ١٣١٧ هـ ،
وكان شيخا للبالكية منذ عام (١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨ م) وسار في المشيخة
بالحزم ولم تمنعه من القيام بدروسه ، ولكن استقال في ذى الحجة عام
١٣٢٠ هـ ، خلفه

(٣٠) السيد على بن محمد البيلواوى الذى استقال في المحرم من عام

- ١٣٢٣ هـ وتوفى في ذى القعدة من نفس العام ، خلفه
- (٣١) الشيخ عبد الرحمن الشريبي ولكنه استقال عام ١٣٢٧ هـ ،
فعاد إلى المشيخة مرة أخرى
- (٣٢) الشيخ حسونة بن عبد الله النواوى ولكنه استقال في نفس
العام ، خلفه للمرة الثانية أيضا
- (٣٣) الشيخ سليم البشرى إلى أن توفى في ظهر يوم الجمعة ٤ ذى
القعدة عام ١٣٣٥ هـ ، فتولاها
- (٣٤) الشيخ أبو الفضل الجيزاوى في ١٤ ذى الحجة من نفس العام
وكان شيخا للبالكية من ٢٠ صفر عام ١٣٣٦ هـ ، واستمر شيخا للأزهر
حتى عام ١٣٤٨ هـ ، ثم عقبه
- (٣٥) الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى ، من عام ١٩٢٨ م
إلى عام ١٩٣٠ م فاهتم بإعادة تنظيم الأزهر على نطاق واسع وعلى شكل
أحدث رغبة في جعله أقرب إلى نظام الجامعات الأوروبية حتى يتفق
وحاجات العصر الحاضر في مصر . فرفع إلى جلالة المغفور له الملك
فؤاد مشروعاً باصلاح هذا المعهد ، فصدرت إرادة جلالة بالقانون
المعروف بالقانون رقم ٤٩ لعام ١٩٣٠ الذى تضمن الكثير من
الاصلاحات والتغييرات اشتملت جميع نواحي الأزهر من أساتذة
ومجاورين وعلوم وجرارية ، وقد رغب الشيخ المراغى فى إصدار المزيد
من القوانين الخاصة بتحسين حال الأزهر ورفع مستواه وتخليد ذكرى
علماء وعظماءه الأفاضل ولكنه استقال عام ١٣٤٨ هـ ، فعقبه

(٣٦) الشيخ محمد الأحمدى الظواهري ، وكان عالما فاضلا ومصليا كبيرا ، اشتهر بكتابه (العلم والعلماء ونظام التعليم) الذي أصدره عام ١٩٠٤ م ، وقد تكلم فيه عن العلماء والمدارس الدينية والعلوم وطرائق التعليم . وأهم ما في الكتاب التوفيق بين أصول الإسلام الصحيحة وبين كل ما هو حسن بغض النظر عن مصدره وبيئته ، فالإسلام يجب أن لا يؤخذ فقط عن أوروبا ، بل يؤخذ كذلك عن الصين واليابان . وأنه يجب أن تكون الدعوة إلى الإسلام ورسالاته من أهم المواد التي يجب أن تدرس بالأزهر . وهو يدعو في كتابه إلى عقد مؤتمر إسلامي كل عام ويرى كذلك إلى تخليص الأزهر من البدع والخرافات ، كما كان يحذر الجمهور من الفلسفة النظرية ، والكتاب شاهد صادق على صفاء عقيدة الشيخ الظواهري وطموحه نحو المثل الأعلى ، فلها استقلال من المشيخة عام ١٣٥٤ هـ ، عاد إليها

(٣٧) الشيخ محمد مصطفى المراغي ، ويرجع إليه الفضل في وضع مشروع المدينة الأزهرية التي تجمع المعاهد المختلفة ومساكن الطلبة والمكتبة الأزهرية على أحدث نظام وأبداع تنسيق ، وقد أوقف تكملة تلك المدينة بما فيها المكتبة للظروف الحربية وغلاء أسعار البناء . وكان الشيخ المراغي إماما من أئمة المسلمين على قدره وسمو مكانته . فهو أحد تلاميذ الشيخ الإمام محمد عبده ، بل كان أنجب تلاميذه لذلك اختاره الإمام ليكون قاضيا في السودان وما يزال يرتقي بها حتى أصبح بعد مضي بضعة سنوات قاضي قضايتها ، وكان صديقا حميما للسيد المهدي

والسيد الميرغني لما عرف عنه من دماثة خلق وعلو همة إلى أن تولى
 مشيخة الأزهر أول مرة . وكان لعلبه الغزير الواسع وثقافته الممتازة
 أهلا لتولى هذا المنصب الرفيع لثاني مرة فنهض بالأزهر نهضة عظيمة
 مباركة متمشيا خطوات أستاذه الإمام .

وكان الشيخ المراغي عالما فاضلا مجبا للأدب حافظا للشعر . رأى
 أن أستاذه الإمام قد فسر جزء عم فأراد أن يتم تفسير ما بقي من القرآن
 الكريم ، ففسر جزء تبارك وأتمه قبل موته بقليل واستعان في تفسيره
 بالعلوم الحديثة فكان بحثا قيما يدل على ما كان عليه الشيخ من التعمق
 في العلم والدين . وهو أول من ابتكر فكرة الدروس الدينية التي كان
 يلقيها تباعا في رمضان وفي غيره من المناسبات بين يدي جلالة الملك
 فاروق وكان يحضرها جمع غفير من عليية المصريين وعظماءها فلما توفي
 في ١٤ رمضان ١٣٦٤ هـ الأربعاء ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، خلفه

(٣٨) الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، وكان أستاذا للفلسفة بجامعة
 فؤاد الأول ، ثم وزير اللاأوقاف أكثر من مرة ، وهو عالم فاضل كثير
 التواضع يأمل الكثيرون أن ينال الأزهر على يديه الشيء الكثير من
 لإصلاح والرقى .

المكتبة الأزهرية

اكتظ الأزهر منذ الخلفاء الفاطميين بكثير من الكتب القيمة والمؤلفات الثمينة والمخطوطات والمصاحف التي كتب بعضها بالذهب . وكان أعظم تلك الكتب كتاب العلامة يعقوب بن كلس وزير العزيز ابن المعز لدين الله الفاطمي في الفقه الإسلامي الشيعي على مذهب الاسماعيلية وكان يعرف باسم (الرسالة العزيزية) وكان ابن كلس يجلس في الأزهر ليقراً كتابه هذا على الفقهاء والأدباء وأكابر رجال القصر . وعند ما ظهر نظام الأروقة أنشئ بكل رواق مكتبة خاصة به ، ابتدأت بالقليل من الكتب التي كان يقفها عليه أهل الخير ، ثم أخذت هذه الكتب في الزيادة بمرور الزمن حتى أصبح لكل رواق مكتبة محترمة ، كان الانتفاع بها متروكاً لمن ينشده من أهل الرواق وغيرهم . ولم يعرف تاريخ دقيق لإنشاء هذه المكتبات .

ويكثر بالأزهر المخطوطات التي بلغت عام ١٩٤٣م ٢٤٠٠٠ مخطوط تقريباً ، وهذا نتيجة ما كان يتبعه العلماء من طرق التدريس ، فكان الأستاذ يستوعب موضوع الدوس في ذاكرته أو يكتبه في كراسة خاصة

ثم يليق عليه على تلاميذه الذين كانوا يكتبون ما يملئ عليهم ، فإذا ما تجمع لدى الأستاذ أو طلبته مجموعة من هذه الدروس عد ذلك كتابا وأصلا ومرجعا للعلم . فتودع هذه المجموعة الخطية مكتبة الأزهر والأروقة لتكون مرجعا للطلاب والعلماء . فازدخرت مكتبة الأزهر بكثير من تلك المؤلفات الخطية الثمينة الغنية بالأراء الفقيهية والدينية . وأخذ الكثير من العلماء يضيفون إليها الكثير من الشروح والحواشي وهكذا تكونت على مر السنين مكتبة مفعمة بدرر الكتب النادرة . فقد احتوت في زمن من الأزمان على ما يقرب من ستة آلاف مجلد ومخطوط في علوم الطب والتوحيد والمنطق والرياضة والبيان والنحو والبلاغة والفلك وتقويم البلدان .

وعمل لمكتبة الأزهر عام ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) فهارس دونت فيها جميع ما في المساجد والتكايا وأروقة الأزهر وحرارته ، وبلغ عدد المجلدات المعروفة ١٨٥٦٤ مجلدا ولكن لا يوجد منها الآن إلا النذر اليسير ، بل أن الفهارس نفسها سرقت ثم أعيدت بالشراء إلى المكتبة عام ١٩١١ م .

وقدمت بالأزهر أعصر أازدهر فيها العلم وكثر بأروقتة العلماء الجهابذ من أهل مصر أو أجانب عنها تركوا بها ثروة كبيرة من المخطوطات والكتب في الفقه واللغة والآداب الاسلامية ، أشهر هؤلاء الإمام عز الدين بن عبد السلام وناصر الدين بن المنير وتقي الدين بن دقيق العيد وقاضى القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب وشيخ الاسلام زكريا

الأنصاري وجلال الدين السيوطي وابن هشام والإمام الأصبهاني وابن مالك وابن حيان وابن خلدون وابن منظور الإفريقي وغيرهم .
 وبجانب تلك العصور الباهرة ، مرت بمصر أوقات عجاف في العلم والتأليف ، فقل عدد العلماء والمؤلفين ، فندر بذلك الإنتاج الأدبي ، وبما زاد الطين بلة وقوع مصر تحت الحكم التركي ، فنقل سليم شاه معظم الكتب الثمينة والتأليف القيمة والمخطوطات العلمية من الأزهر وغيره من المعاهد والجوامع إلى بلاده وحذا حذوه كثير من الأمراء العثمانيين الذين توالوا على حكم مصر ففقدت المكتبة الأزهرية معظم كتبها ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تعرض ما بقي من تلك الكتب إلى العطب والتمزيق من جراء الثورات في مصر والاضطرابات التي كانت بين المجاورين في الأزهر .

فلما جاء الشيخ الإمام محمد عبده وجد أن كثيراً من نفائس الكتب التي كانت مودعة بمكتبات الأروقة قد نهبت وأرسلت إلى أوروبا بواسطة سماسة الكتب والضعفاء ممن كان مقبلاً على أمر تلك المكتبة والذين لم يكونوا على معرفة تامة بقيمة تلك الكتب وأهميتها ، فباعوها بشمن بخس مع أن معظم تلك الكتب كانت وقفاً على الأزهر والعلم والعلماء ، ووجد أن الباقي منها قد أهمل أمره وترك للحشرات والرطوبة والأتربة تعيش فيها فساداً ، فقد تلفت أوراقها وبلت جلودها وتلاشت الكتابة منها حتى تعذر قراءتها ، فبذل الإمام مجهوداً كبيراً في تسكين مكتبة ذات قيمة ، لتكون مرجعاً هاماً لطلبة الأزهر وعلمائه وساعده في

ذلك كثير من مشايخ الأزهر ، وعرض الإمام الأمر على سمو خديو مصر عباس الثاني فوافق عليه وأصدر كريم أمره في شهر مايو عام ١٨٩٧ م ١٣١٤ هـ بإنشاء مكتبة للأزهر باسم (المكتبة الأزهرية) .

وقام الإمام يساعده وزارة الأوقاف بإعداد مدرستا الإقبغولية والطيرسية لتكونا مكانا للمكتبة الجديدة . فأصلحا وزودا بما يلزمهما من دوايب وخزائن ثم جمع فيهما كل ماتفرق في الأروقة من السكتب والمخطوطات وما وهب إلى الأزهر في ذلك الوقت وما اشترى من مال بعض الوقفيات المحبوسة على السكتب .

وبذل الإمام مجهوداً كبيراً في إقناع أهل الأروقة بالتنازل عما في أروقتهم من كتب وعن فائدة تكوين مكتبة مستقلة تضم أمهات السكتب والمؤلفات . فوافق الجميع ما عدا أهل رواق المغاربة ورواق الصعايدة الذين لم تضم مكتبتهم إلى المكتبة الأزهرية إلا عام ١٩٣٦ م فقط . وزيادة على ذلك فقد عانى الامام صعوبات جمة في ترميم السكتب وترتيبها للحالة السيئة التي وجدت عليها . وقد كانت تلك السكتب تحمل من الأروقة إلى مكانها الجديد في زكائب وغرارات ثم تفرغ في أكوام من الورق الممزق المملوء بالعناكب والتراب ، فكانت ترتب وتنظم وتوضع في أماكن نظيفة . كما قيدت أسماء السكتب في دفاتر خاصة بأعداد متسلسلة . وقد أعدوا لكل فن أماكن خاصة به ، فسكتب الفقه في مكان وكتب اللغة العربية في مكان آخر . ومن الصعب تقدير الوقت والمجهود الذين

بذلا في هذه العملية ، إلا أنه يتبين لنا من النتيجة العظيمة التي وصلوا إليها أنه كان مجهوداً جباراً . فقد كان بالأروقة كتب مقسمة بينهم ، كل فصل في رواق ، كما وجد كثير من الكتب مدشوته بعضها مع بعض لا يمكن تمييزها ، وكان قد أمر بحرقها لولا أن تداركها الإمام فأنقذها من الحريق وقد وجد بين هذا الدشت كثير من المصاحف المخطوطة القيمة .

وقد بذل الإمام مجهوداً مشكوراً في تنمية المكتبة وزيادة كتبها ، فلم يكتف بما وجدته في الأروقة ، بل طلب إلى علماء مصر ورجالاتها بماله من مكانة ونفوذ عظيمين أن يقوموا بمساعدة تلك المكتبة بمنحها ما تيسر لديهم من الكتب والمؤلفات ، فلبى نداءه الكثيرون كان أولهم الشيخ حسونة النواوى الذى منحها مكتبته الخاصة أثناء حياته .

ولم يكتف الأزهر بذلك ، بل أخذ يشتري الكتب من التركات والمكاتب والمؤلفين وينقل منها ما ندر كتابته ويصور ما يصعب نقله فضاعت المكتبة بالكتب فضم إليها بعض أجزاء الأزهر بعد إصلاحها وإعدادها ، ثم أنشئ عام ١٩٣٦ م بناءً جديداً ملحقاً بالإدارة العامة لتتسع للكتب التي ما قىء الأزهر يشتريها عاما بعد عام .

ومما حفظ على مكتبة الأزهر كتبها ، أنه حينما أنشئت المكتبة الخديوية أيام إسماعيل العظيم عام ١٨٧٠ م ، نقل إليها جميع ما كان في المدارس من كتب ما عدا الأزهر فقد احتفظ بكتبه ومؤلفاته ، وإن كان ذلك لم يكن في مصلحة المستشرقين الذين لم يستطيعوا للأزهر اقتحاما

للاطلاع على ما فيه من نفائس ومخطوطات وكنوز علمية .
وبالمدرستين الأقبغوية والطيرسية الآن المكتبة العامة وفيها جميع
المؤلفات الخاصة بالدراسة الأزهرية ، أما المبنى الجديد فيحتوى فقط
على مكتبتى الشيخين المغفور لهما الامباني وبجيت . والمدرستان غير
وافيتين بالغرض من إنشاء مكتبة ، فهما تفتقران إلى قاعة مطالعة متسعة
ومكان للإدارة ، وكانت لهما قاعة مطالعة حتى عام ١٩٠٩ م ثم ألغيت
ليحتلها بعض الكتبة .

وتنفرد المكتبة الأزهرية بتقليد خاص بها يساعد على اتساع
نطاق الاستفادة من كتبها ، وهو جواز استعارة ملزمات من الكتاب
الواحد وتسمى فى العرف الأزهرى (التغيرة) ، فإذا ماقرأ المستعير
ملزمة أعادها ليستعير غيرها . وقد بلغ عدد التغيرات التى استعيرت من
المكتبة عام ١٩٤٢م ثلاثة آلاف عدا ما استعير من مكتبات الكليات
والمعاهد .

والمكتبة الأزهرية تقوم برسالة ثقافية عظيمة لا لطلبة الأزهر
فقط بل لكل راغب فى الاطلاع والبحث فهى تقدم له ما يرغب من مصادر
علمية نادرة من المخطوطات والمطبوعات ومن كتب علمية فى مختلف
الفنون . وتتبادل المكتبة مع المكتبات الأخرى المخطوطات النادرة
لنسخها أو تصويرها .

وتحتاج تلك المكتبة إلى المال لتمويلها بالكتب التى تظهر تباعاً
لتنستطيع مساندة النهضة الحديثة . وكان الأزهر يرصد كل عام مبلغاً من

المال في ميزانيته لشراء الكتب تحت رقابة لجنة خاصة كونت في ٢٠ شوال عام ١٣٢٧ هـ (٣ نوفمبر ١٩٠٩) فزاد عدد الكتب في المكتبة زيادة كبيرة ، ولكن تلك الحركة فترت أخيراً وبطلت عملية الاستنساخ لإنشاء المطابع وقل شراء الكتب .

وتعتبر المكتبة الأزهرية بمثابة الأم بالنسبة لمكتبات الكليات والمعاهد تغذيها بالكتب اللازمة لها في جميع الفنون وبخاصة الكتب التي نفدت طبعها أو تعذر شراءها لندرة وجودها ، كما أن لجنة الفتوى بالأزهر ومجلة الأزهر تعتبرها المراجع الأولى لها ، كما توضع منها جميع أسئلة الامتحانات للأزهر والمعاهد المختلفة .

الفنون التي بالمكتبة وعدد مجلداتها

ابتدأت المكتبة عند إنشائها بقليل من الكتب والمؤلفات والمخطوطات ، أخذت تتضاعف بمرور الزمن بطريق الإهداء والنسخ والشراء ابتدأت عام ١٨٩٧ م بما يقرب من ٧٧٠٣ كتاب منها ٦٦١٧ حصلت عليها بطريق الإهداء و ١٠٨٦ بطريق الشراء ، وكان عدد فنونها ٢٧ فناً ثم أصبحت عام ١٩٤٣ ، ٥٨ فناً وبلغ عدد مجلداتها ٩٠٠٧٥ مجلداً وفيها كثير من أمهات الكتب ونادرها من المصاحف والقراءات والتفسير والحديث وفقه أبي حنيفة والتاريخ من عصور متقدمة ، أما مخطوطات القرن التاسع عشر وما بعده من المصاحف والكتب فهي كثيرة جداً والكتب بالمكتبة موزعة كالاتي :

العدد	الفن	الرقم	العدد	الفن	الرقم
١٨٢٩	الآداب والفضائل	١٩	٢٩٤٤	المصاحف	١
٥٩٧٤	الأدب	٢٠	١٠٠	علوم القرآن	٢
١١٨	اللغة	٢١	١٣٧٧	القرآن	٣
١٨٨١	التصوف	٢٢	٥٢٧١	التفسير	٤
٥٠٨٦	التاريخ	٢٣	٨٦٢٤	الحديث	٥
١٤٩٩	المنطق	٢٤	١٠٠٣	المصطلح	٦
٣١٢٢	فنون متنوعة	٢٥	٢٤٩٤	الأصول	٧
١١٢٧	الأدعية	٢٦	٩٦٤	الفقه العام	٨
٤٦٦	الحكمة والفلسفة	٢٧	٦٩٤٨	فقه حنفي	٩
٤٢٨	الفلك	٢٨	٤٨٧٩	« شافعي	١٠
٣٠٣	تقويم البلدان	٢٩	٤١٣٠	« مالك	١١
٦٤١	القوانين واللوائح	٣٠	١٦٩٨	« ابن حنبل	١٢
٥٠٥	الحساب	٣١	١٥٩٣	المجاميع	١٣
٦٣٢	الطب	٣٢	٢٤٩٤	الأصول	١٤
٦٣٣	الميراث	٣٣	٢٨٢٨	التوحيد	١٥
٦٤٦	أخلاق وتربية واجتماع	٣٤	٢٥٥٤	البلاغة	١٦
٢٣٧	أدب البحث	٣٥	٤٥٣١	النحو	١٧
٢٥١	العروض	٣٦	٩٨١	الصرف	١٨

العدد	الفن	الرقم	العدد	الفن	الرقم
٢٥	حكمة التشريع	٤٨	١٤١	الوضع	٣٧
٦٧	اقتصاد سياسي	٤٩	٢٧٢	اللغات الأجنبية	٣٨
٢٠	هيئة	٥٠	٢٣٠	» التركية	٣٩
١٧	فراصة وكف	٥١	١٠٠	إملاء وخط	٤٠
٥٤	تعبير الرؤيا	٥٢	١٣٤	صور ورسوم	٤١
٤٢	شرائع غير إسلامية	٥٣	١٢٢	كيمياء وطبيعة	٤٢
٣	طبوغرافيا	٥٤	١٩	التجارة	٤٣
٦٣٩٥	محموظات	٥٥	٦٧	الهندسة	٤٤
٧	الموسيقى	٥٦	٣٤	الجبر	٤٥
٣	مسك الدفاتر	٥٧	٦٦	الزراعة	٤٦
٥٠	ضرب الرمل	٥٨	٢٧	فقه الشيعة	٤٧

المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية

بالمكتبة الأزهرية مكتبات خاصة حملت الغيرة الدينية أصحابها أو أو وراثتهم على إهدائها للأزهر ليكون نفعها وقفا على العلماء وطلبة العلم . وبعضها يستقل بجزائمه كشروط أصحابها ومسجلة ومفهرسة ضمن المكتبة العامة ويجرى الانتفاع بها دون تمييز . وأهمها :

(١) مكتبة سليمان باشا أباطة ، وقد أهداها ورثته للأزهر عام ١٨٩٨ م عملاً بمشورة الإمام محمد عبده وهي أنفست المكتبات الخاصة بالأزهر ، يستأثر منها التاريخ والأدب بغالب كتبها ، وتمتاز بكثرة المخطوطات وبخاصة في الفنين المذكورين وعد مجلداتها ١٤٨٤ مجلداً ، جملة صالحة من مطبوعات أوروبا .

(٢) مكتبة حلیم باشا ، وقد وزعت بين الأزهر ووزارة المعارف في أغسطس سنة ١٩١٢ وخص المكتبة الأزهرية منها ٢٨٥٧ مجلداً ، ويظهر من فنونها القراءات والحديث والتصوف والطب والفلك والتاريخ وبها كتب في بعض الفنون باللغة التركية والفارسية وكثير من كتبها بخطوط جيدة موشاة بالذهب .

(٣) مكتبة الشيخ عبد القادر الرفعي المتوفى عام ١٣٢٣ هـ ، وقد

وقفت بجزائها الخاصة بها على الأزهر في مارس عام ١٩٢٧م ووضعت في حجرة خاصة بها وعدد مجلداتها ١٤٥٧ مجلدا وهي أغنى المكتبات الخاصة بفن الفقه الحنفي وبها مخطوطات في هذا الفن من النوادر العالمية كشرح السندي على الدر المختار .

(٤) مكتبة الشيخ محمد نجيت المطيعي مفتي الديار المصرية المتوفى عام ١٩٣٥م . وقفها في حياته بجزائها الجميلة ، ونفذ ورثته رغبته عام ١٩٢٨م وعدد مجلداتها ٣٣٦٥ مجلدا في فنون مختلفة يغلب فيها الفقه الحنفي .

(٥) مكتبة الشيخ الامباني شيخ الجامع الأزهر المتوفى عام ١٣١٣هـ ؛ جعل مقرها منزله بالظاهر وجعل لها مغير أوبرت أوقفه عليه ، وخشيت وزارة الأوقاف عليها من التلف فأهدتها إلى الأزهر عام ١٩٢٨م وعدد مجلداتها ١٤٥٢ مجلدا ، وبها مخطوطات نادرة في الفقه الشافعي .

(٦) مكتبة بسم أعغا، كانت برواق الجبرت ، ونقلت بجزائها إلى المكتبة الأزهرية عام ١٩٢٥م وبها نحو ألف مجلد في مختلف الفنون .

(٧) مكتبة الشيخ العروسي شيخ الجامع الأزهر المتوفى عام ١٢٩٣هـ أهداها ورثته إلى الأزهر عام ١٩٣٨م وعدد مجلداتها ٨١٨ مجلداً ، ومعظم كتبها مخطوط قديمة وبعضها حديثة وبها نوادر في النحو والتاريخ .

(٨) مكتبة الشيخ ابراهيم السقا وأخيه الشيخ عبد العظيم السقا ، أهديت إلى المكتبة الأزهرية عام ١٩٢٧م وعدد مجلداتها ٥٩٠ مجلدا وبها نوادر من الكتب الخطية .

(٩) مكتبة إبراهيم بك حفظى ، أهديت إلى المكتبة الأزهرية عام ١٩٢٢ م وعدد مجلداتها الآن ٣٩٢ مجلدا ، وهى فى نمو مستمر ، فقد وقف عليها مهديها مبلغاً من المال سنويا نصفه لشراء الكتب والآخر للغيرين بها .

(١٠) مكتبة الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر والمتوفى عام ١٩٢٥ م وهى فى فنون مختلفة ، أهداها إلى المكتبة الأزهرية عقب إنشائها لتكون نواة لها ولحمل غيره على تعضيدها .

(١١) مكتبة الشيخ الجوهري ، أهديت إلى الأزهر عام ١٩٢٨ م وعدد مجلداتها ٣٤١ مجلدا .

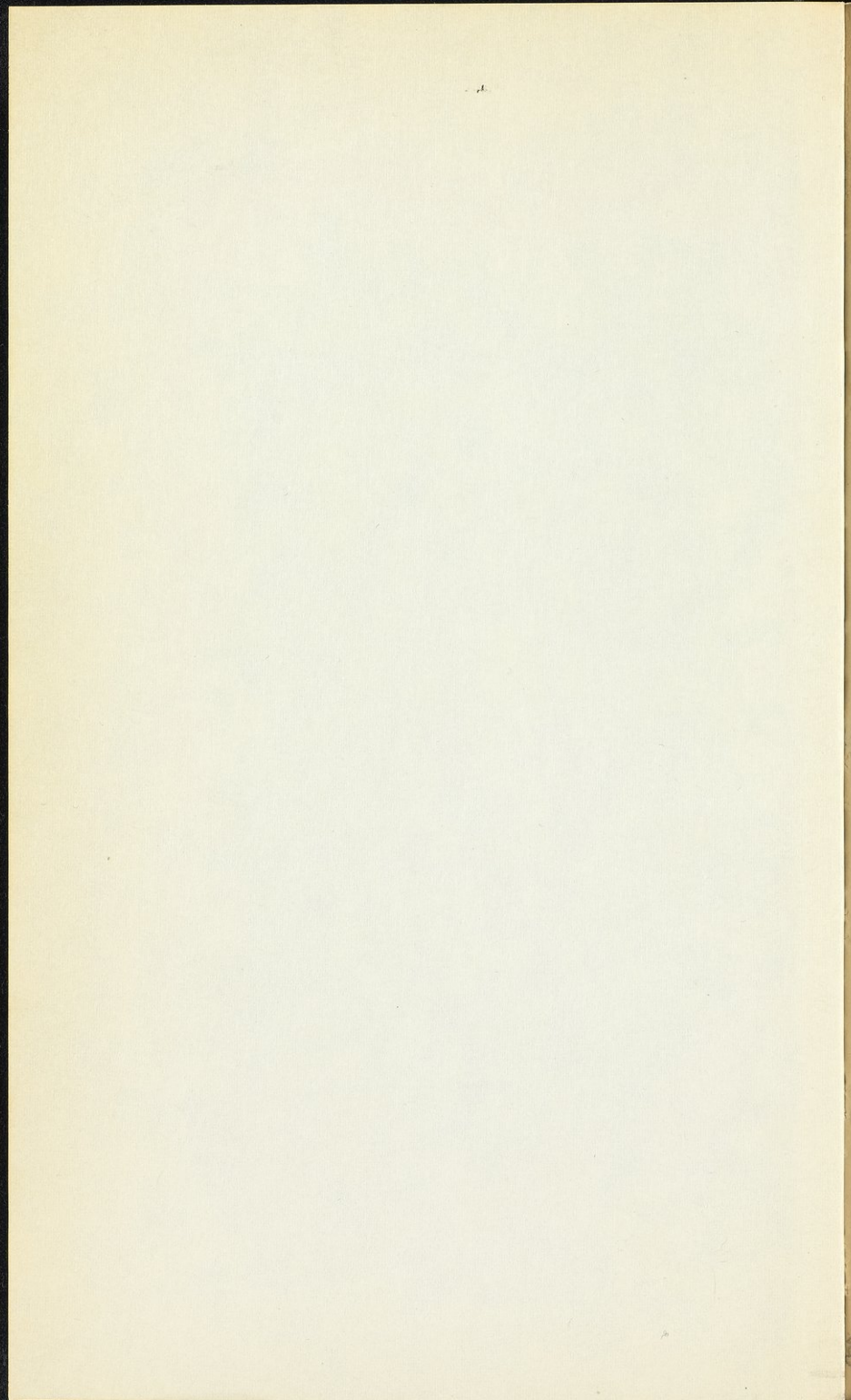
(١٢) مكتبة الشيخ عبداللطيف الفحام المتوفى عام ١٩٤٣ م أهداها ورثته عقب وفاته إلى الأزهر ومجلداتها ألف مجلد .

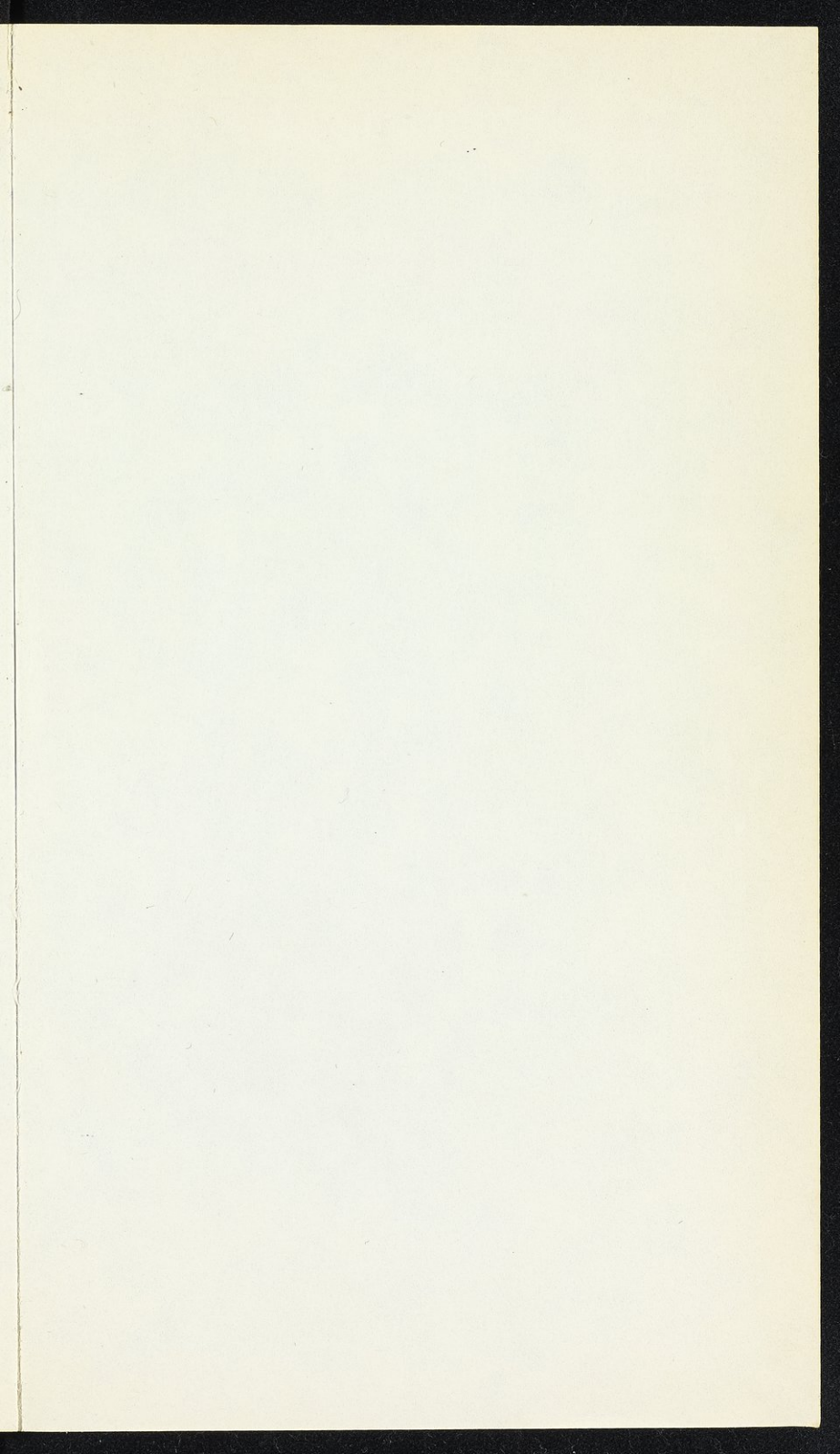
وبالمكتبة الأزهرية مكتبات أخرى كمكتبة رضوان باشا ومختار باشا وثابت باشا ورشيد باشا وبعض مكتبة مدرسة القضاء الشرعى وبعض مكتبة زكى باشا ومكتبة الصعايدة .

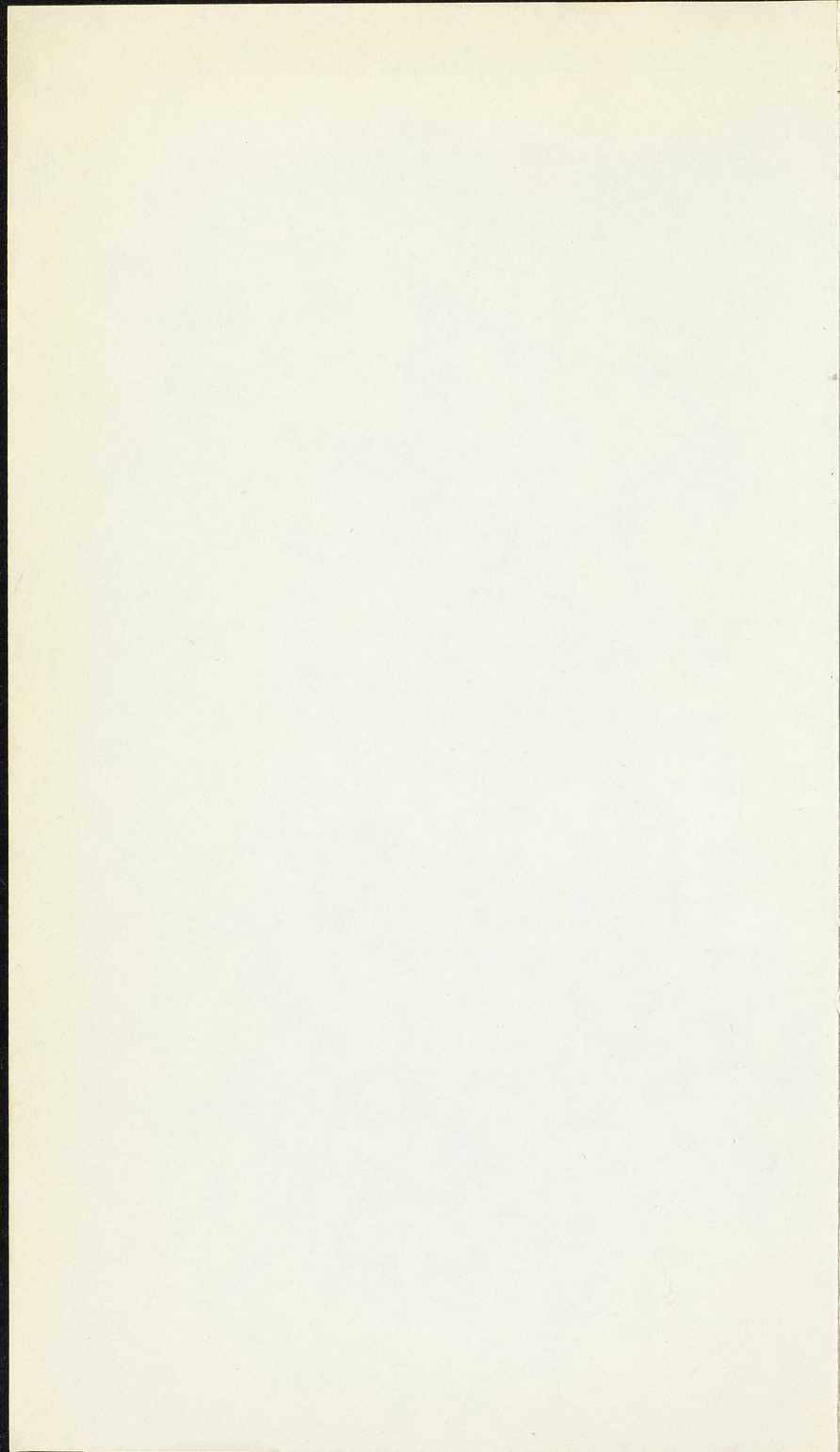
أما مكتبة الامام الشيخ محمد عبده ، فقد خص بها الجمعية الخيرية الاسلامية دون الأزهر ، ولكن الأزهر طالب بها وألح فى طلبها حتى وافقت الجمعية أخيرا على منحها للأزهر الذى سبىء لها مكانا لائقا بها فى مكتبته الخاصة وسيحتفل بنقلها إلى الأزهر احتفالا لائقا .

مراجع الكتاب

- (١) الخطط المقرزية - للمقرزي
- (٢) « التوفيقية - لعلى باشا مبارك
- (٣) دائرة المعارف الاسلامية
- (٤) الفاطميون في مصر : للدكتور حسن ابراهيم حسن
- (٥) جوهر الصقلي : « على » «
- (٦) الاسلام والتجديد في مصر ترجمة الأستاذ عباس محمود
- (٧) تقرير لجنة إصلاح الجامع الأزهر لفتحى باشا زغلول
- (٨) محمد على الكبير : لشفيق بك غربال
- (٩) محمد عبده : للدكتور عثمان أمين
- (١٠) « « للأستاذ أحمد الشايب
- (١١) مجلة الأزهر
- (١٢) تاريخ الأزهر للدكتور عبد الواحد وافي
- (١٣) كنز الجواهر في تاريخ الأزهر للشيخ سليمان رصدا الحنفى
- (١٤) تاريخ الأزهر : لمصطفى بيرم
- (١٥) الأزهر لمحى الدين الخطيب
- (١٦) تاريخ الجامع الأزهر : للاستاذ عبد الله عنان
- (١٧) حفلة الافتتاح الرسمي لسلكية أصول الدين
- (١٨) اهللال العدد الخاص بالعمارة الاسلامية
- (١٩) تراث الإسلام : ترجمة نخبة من خريجي الجامعة







DATE DUE



MAR 69



N. MANCHESTER,
INDIANA

NYU - BOBST



31142 00226 1298

LG511.C45 Y8

al-Azhar

YUNUS - AL-AZHAR

LG 511 C45 Y8